
سرّ
القصر القديم

القديس

القصر القديم

رواية بوليسية حافلة بالألغاز والمفاجآت

بقلم الكاتب الانجليزى الكبير

ليسلى تشارترس

الفصل الاول

بيكومب قرية صغيرة تقع من ديفونشير فى اطرافها القصية المنعزلة فلا يرتادها لبعدها — حتى فى شهرى يولية واغسطس — احد من طالبى الرياضة ومحبى الحمامات البحرية من اولئك النساء والرجال الذين يؤثرون العزلة عن الناس ، وينشدون ركنا منزويا يمضون فيه عطلتهم .

فجلى من هذا أن الغريب الذى يهبط هذه البلدة لا يلبث أن تاخذه السآمة اذ يلقى نفسه يسير فى حيـاته على وتيرة مضطردة تبعث الملال حتى ولو لم يمض هذا الغريب فى القرية الا اياما ثلاثة .. وحتى ولو لم يكن هذا الغريب الا سيمون تمبلار المعروف باسم القديس .

ولكن القديس رجل النضال والمغامرات .. القديس عدو العصابات اللدود .. لا يحل بمكان الا قلب اوضاعه ، فاحال سكونه ثورة وهدوءه بركانا .. وهكذا لم تكد تمضى ايام قليلة على قدوم القديس حتى ارتدت القرية الوادعة الساكنة مسرحا لحوادث صاخبة عنيفة يذهل عندها الرجل الذى يعرف أن بيكومب كانت منذ قرون واجيـال كما هى الان ، قرية السكون الشامل .!

وما نزل القديس بالقرية حتى انتبهته الابصار من كل جانب ، واشتدت الهمسات ، وراحت الالسن تنسج حوله خيوطا من الأوهام ، وتعته الناس « بالغريب الغامض » وطارت عنه الاشاعات فى كل مكان .. ولا عجب فى هذا فقد اتى القديس من الاعمال — ولم يمض عليه فى القرية الا يومان — ما أهاج فضول القرويين واثار ريبتهم فيه .!

اما المنزل الذى اتخذه مقاما له فما كان ليسمى منزلا قبل ان يعمل على تنسيقه وتنظيفه نفر من العمال امضوا

أياما ثلاثة يغيرون من أوضاعه ويحسنون في نظامه .

ولقد كان هذا البيت حصنا أنشأته وزارة الدفاع في خلال الحرب الكبرى حين استفاضت الاشاعات في كل مكان بأن الالمان قد بيتوا النية على أن يباغتوا الانجليز بانزال نفر من جنودهم في مكان قصي موحش من الشاطيء الانجليزي ، فرأت الوزارة أن تتخذ الأهبة لمواجهة مثل هذه المفاجآت ، فأقامت طائفة من الحصون والقلاع الصغيرة في نقط مختلفة من الشاطيء ، فكانت قرية بيكومب احدى هذه النقط التي حصنت على عجل .

وتتابعت الايام والشهور وتلك القلاع قائمة ، يحرسها شرذم من الجند مزودة بالمدافع واجهزة الاتصال اللاسلكي حتى تبادر الى الاستنجاد عند وقوع الخطر ، ولكن الالمان لم يفكروا في القيام بمثل هذه الهجمات ، واذا كانوا قد فكروا فانهم لم يقدموا .. ووضعت الحرب أوزارها وسحبت الحامية من حصن بيكومب ورفعت المدافع .. وترك الحصن خاليا مهجورا يلعب فيه الصغار ويشنون الغزوات ويتخذون منه مسرحا لمعارك تمثيلية الى ان كان اليوم الذي فكر فيه القديس في أن يستأجر هذا الحصن من الحكومة مع الأراضي المجاورة له لقاء خمسة وعشرين جنيها .

وفي هذا الحصن أقام القديس مع خادمه المخلص الأمين هوراس وفي خلال الايام الثلاثة الأولى بدت الحياة مملة مضطردة تدب لها السآمة في النفوس .. حتى لقد راض القديس نفسه على عادات معينة لا يشذ عنها .

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم الثالث دخل هوراس على سيده مخدعه يحمل اليه قدحا من الشاي واناء مملوءا بالماء الساخن .

وقال هوراس وهو يضع ما في يديه على المنضدة :

— الجو جميل اليوم يا سيدي . !

وتلك عبارة اعتاد هوراس أن يرددها سواء كان الجو صحوا أم ملبدا بالغيوم ، وما أمسك عن النطق بها حتى وهو يرى الريح عاصفة والسماء تمطر سيولا . ومط القديس جسده وتثاءب مرة أو مرتين ، ثم فتح عينيه في تراخ وكسل .. ورأى خيطا من اشعة الشمس ينساب الى الغرفة من كوة الحصن التي جعلت لامطار العدو وابلا من الرصاص والقنابل .

صدق هوراس .. ان الجو اليوم جميل ، وبعد تردد قليل وثب القديس من الفراش فحلق لحيته على عجل واحتسى قدح الشاي وارتدى ثياب الاستحمام ثم خرج الى المرج الأخضر الممتد امام الحصن ليستمتع بصباح دافيء صحو .

امضى القديس بضع دقائق يمارس تدريباته الرياضية المألوفة من وثب وقفز على الحبل وملاكمة وهمية . ثم تناول منشفته وانطلق يجرى صوب البحر حتى اذا بلغ الجرف الصخري أخذ يتحدر الى الماء وهو يثب من صخرة الى صخرة . والبحر منه على عمق مائة وخمسين قدما . والصخور في تفاوت أحجامها شبيهة بدرجات السلم ..

وكان البحر هادئا ساكنا فسبح القديس اكثر من ربع ميل تارة على صدره وتارة على ظهره . ثم خرج من الماء وراح يجرى متجها الى داره حتى اذا أشرف عليها أرتمى على الرمال التي تتوهج في اشعة الشمس ومضى يأخذ حماما شمسيا .

وغزت الخواطر ذهنه .. نفس الخواطر التي غزته في اليوم السابق . لم يكن يفكر الا في هذه الحياة المضطردة التي تجرى على نسق واحد لا يكاد يتغير أو يتبدل : نسوم

وبقظة وحمام بحرى وطعام .. ثم نوم ويقظة .. الخ . يا لها من حياة مملة .. ! لقد دب السأم في نفسه وأصبح يمقت هذا الجو الخانق .. ! انه رجل طبع على النضال والكفاح ثم جاء بيكومب ليخلد الى السكون وليتعلم من جديد كيف ينام ومتى يستيقظ .. ! انه رجل لم يألف العادات المنظمة المحددة فكيف ..

وفي هذه اللحظة سمع طنينا .. !

وعكر صفو السكون الشامل صفير حاد .. وكان الصفير على مقربة منه .. وتطاير بعض الحصى الذى حوله ثم هوى الى الأرض ثانية وعليه أثر معدني .. أما صوت الصفير فأخذ يخفت متجها الى البحر .

وعلت ابتسامة خفيفة شفتى القديس وقال يخاطب نفسه في صوت خافت :

— مسكين أنت يا صديقي .. ! انك لا تحسن اصابة الهدف . انى أرثى لك .. ! لقد كدت أن تقتلني ولكن ثبت لى أنك أخيب القناصين .. !

ولكنه لم يلق هذه الكلمات وهو لا زال مستلقيا على الرمال . وانما وثب واقفا وجال ببصره فيما حوله .

لم يكن لديه شك في أن الرصاصة أطلقت عليه من ناحية الجرف الصخرى من مكان يقع بين الحصن والميناء . ولم ير مخلوقا يسير على الكورنيش . وبعد لحظات لاح له شبح قادم من ناحية الشاطىء .. وما كان الا شبح خادمه الأمين هوراس . ولوح له القديس بمنشفته مطمئنا اذ أدرك من خطواته أنه نهب للقلق والجزع واتجه اليه مسرعا .

ولم تكن تلوح على القديس ذرة من الخوف . وكان يسير في اطمئنان كأنما لم يكن يتوقع أن يقدم غريمه على محاولة جديدة .

اقترب القديس من الصخور وأرسل بصره الى المكان الذى خيل اليه أن المقذوف النارى أطلق منه وأدرك على الفور أن عدوه عرف كيف يختار لنفسه مخبأ صالحا .. كان نبات الغاب نابتا في هذا المكان ملبدا كثيفا لا سبيل الى اكتشاف ما يجرى في جوفه .. وهز القديس كتفيه في غير اكتراث وتحول الى خادمه هوراس الذى أحنقه أن يرى سيده قليل المبالاة الى هذا الحد .

وقال القديس في صوت هادىء وفي لهجة تنم عن الاعجاب :

— ان النمر لا يفلت فرائسه .. !

وقال هوراس مزمجرا :

— مما يؤسف له انه هاو لا يحكم اجادة الهدف والا لما أخطأك وأنت مستلق على الرمال معرضا جسمك لكل غاد ورائح يريد أن يلهو بمسدسه .. ! وانى لأرجو أن يكون لك من هذا عظة فتأخذ نفسك بالقليل من الحيطة .. ! وصدقني انك تستحق أن تقتل جزاء ما تبدي من الاستهتار . ومع ذلك فأرجو الافادة عما اذا كنت قد أصبت بأى جرح ..! فلو انه أصابك لما تركته الا جثة هامدة .

فابتسم القديس وقال :

— كلا .. انى بخير .. ولولا أن حالفني الحظ لكنت الآن في عداد الموتى ..

فرفع هوراس يديه الى السماء وقال :

— آه يا الهي .. ! تكل أمرك الى الحظ وحده وأنت تعلم أن الحظ يخطىء ويصيب . ! وفي وسعك اذا اتخذت أقل أسباب الحيطة أن تقي نفسك هذه النكبات . ! الحق انى أقول لنفسي في بعض الأحيان انك لن تتعلم ولن تتعظ الا اذا أصابتك رصاصة قاتلة . !

وضحك القديس وقال :

ـ الموت يا عزيزى هوراس هو الشيء الوحيد الذى سيمطنى ولكن مما يؤسف له انى اذا مت فلن استفيد من هذه العطلة . ومع ذلك فليطمئن بالك فقد خلق القديس للنضال والمغامرات وقد الف طيلة حياته أن يستهتر بالاخطار وأن يقذف بنفسه الى جوف البراكين فلن يتعلم اليوم الدعة والاستكانة .

وتنهد هوراس وقال :

ـ صدقت .! فهذا هو القديس الذى عهدته فى خلال الاعوام الثمانية الماضية ولا يمكن أن يتغير او يتبدل .!

وسار الرجلان صوب الحصن .

وقال هوراس قبل ان يعبر العتبة :

ـ الافطار بعد نصف دقيقة .

وتابعه القديس ببصره برهة ثم مضى الى غرفته . وبعد ثلاثين ثانية جاء هوراس يحمل اليه صحاف الطعام فوضعها على المنضدة بينما كان القديس منهمكا فى ارتداء ثيابه .

وقال القديس وهو يجلس الى المائدة ويلتهم طبق البيض :

ـ هوراس .. اسمع يا بنى .! انى اظن ان المعركة قد بدأت .

فلم يزد هوراس على ان هز راسه وقال :

ـ هيم .!

فاسترسل القديس يقول :

ـ اصلح الموسيقيون الاوتار واعدوا آلاتهم ورفع المايسترو يده ايذانا بالبدء فتحركت الايدى وسمعنا النغمة الاولى و ...

فقال هوراس مقاطعا :

ـ وبردت القهوة وكادت تثلج .. !

فهز القديس راسه فى اسف وقال :

ـ الحق يا هوراس انك رجل لا تفهم الشعر ولا تستطيبه! احدثك عن الموسيقى والاوتار والانغام فتقاطعنى لتتحدث عن القهوة . ! لقد خاب املى فيك يا بنى . ! ولكن اسمع .. اذا كانت تشبيهاتى لا تعجبك فسأتحدث اليك فى لغة أخرى فأقول : ان المعركة ستبدأ اليوم وسيبادر العدو بالهجوم .

فلم يزد هوراس على ان قال مرة اخرى :

ـ هيم .. !

فهز القديس راسه وقال :

ـ لقد حيرتنى يا صاح . ! بأية لغة تريد ان أتحدث اليك .؟ خاطبتك بلغة الموسيقى فلم تفهم . ! ثم خاطبتك بلغة الحرب فلم تفهم . ! فما العمل اذن . ؟ انى اعلم انك حاربت فى صفوف الجيش متطوعا وانك بلغت مرتبة سرجنت فكيف لا تفهم حديث الحرب . ؟

فقال هوراس :

ـ هيم . !

ـ ايه .. ! هذا شأنك .. ! يظهر ان الحرب التى توشك أن تندلع لا تعجبك ..

ولاذ القديس بالصمت وراح يلتهم طعامه . فلما أتى عليه استوى على مقعد كبير ووجهه الى البحر ومضى يطالع الصحف وهو يدخن سيجارة فى اثر سيجارة . ثم نهض واقفا وتناول معطفه وعصاه وسار الى حيث كان هوراس وناداه :

ـ هوراس . ؟

ـ نعم يا سيدى . ؟

وفتح باب المطبخ وخرج اليه هوراس .

ـ سأقوم بجولة صغيرة وسأعود فى تمام الساعة الواحدة لاتناول الغداء .

— حسنا يا سيدى .

واستدار القديس وهم بالخروج ولكنه لاحظ ان هوراس قد عاد اليه فتحول نحوه وقال :

— اتريد شيئا يا هوراس .. ؟

— نعم .. اريد ان ازودك بهذا .

واخرج يده من جيبه فاذا فيها مسدس ضخم هائل الحجم من مخلفات الحرب العظمى . وقال :

— خذ هذا معك يا سيدى ولا تغتر بالظواهر فانه ينفع وقت الشدة .. انه خير مائة مرة من مسدساتكم الصغيرة الحديثة التى تشبه لعب الأطفال .

فابتسم القديس وقال :

شكرا لك يا هوراس .. ! ولكنك تعلم انى اكره ان احمل المسدسات .. انها تحدث ضجة مثيرة لا داعى لها .. انى افضل ان استعمل خنجرى .. خنجرى « آنى » كما اسميه .!

فهز هوراس راسه وقال :

— هيم .. !

و « هيم » كلمة يرددها هوراس فى كل المناسبات وبلهجات مختلفة فهو يستطيع ان يعبر بها عن الاعجاب او الاستنكار او الاحتقار او الخوف .. الخ طبقا للنبرة التى ينطق بها الكلمة .

وازاح القديس كم قميصه فاذا على ساعده جراب صغير من الجلد . وفى هذا الجراب خنجره « آنى » . وقد حرص القديس على ان يثبت الخنجر بطريقة تمكنه من ان ينتزعه من مكانه فى غمضة عين حتى اذا احدق به خطر امكنه ان يلجأ اليه . وهو الهداف القدير الذى يستطيع ان يرسم نقطة صغيرة على جدار يبعد عنه عشرين قدما على الأقل ثم يرمى

بخنجره فى الهواء فيستقر فوق النقطة لا يطيش منها ملليمترا واحدا .

وقال القديس :

— ولا تسىء الظن بانى يا عزيزى هوراس فقد نفعنى هذا الخنجر وانقذنى فى مناسبات شتى .. انه خادم امين مخلص يعمل فى صمت وسكوت دون ان يرفع الصوت شأن المسدسات .. لقد حاول احد اعدائى من رجال العصابات ان يخرج مسدسه ليطلق على النار ولكن قبل ان يتناول المسدس من جيبه كان الخنجر قد طار فى الهواء واستقر فى يده وثبتها فى فخذه .. !

ثم غادر الحصن تاركا وراءه هوراس متبرما ساخطا يتنازعه الخوف على سيده بل على صديقه القديس .

ولم تكن الحرارة قد اشتدت فى تلك الأيام فوقع فى روع اهل القرية ان الشاب المجهول مجنون جاء ينشد الوحدة فى بلدة لم يعرف عنها من قبل انها مبات للغرباء تسلية يشغلون بها اوقاتهم .

وسار القديس صوب الصخور التى رآها فى الصباح وهو يطرح بعصاه وعينه النفاذة الى نبات الغابة خشية ان يكون فيها عدو مختبىء يتاهب لاطلاق النار عليه . وحين بلغ الصخور راح يبحث ويفتش فى البقعة التى اعتقد ان النار اطلقت منها .

لقد صدق ظنه .. هذه خرطوشة فارغة .. !

وغمغم يقول :

— موزير رقم ٢١٥ .. ! هذا شر عظيم .. ! ان النمر وحشى .. ؟

ودس الخرطوشة فى جيبه واتجه الى الخليج .

وبيكومب قرية لا يكاد يعمرها الا الصيادون الذين يفيدون

من موقعها بين سلسلتين من الصخور مع اتصالها بالنهر مما جعل لها مقاما في عالم الأسماك . وفي ضواحيها تقوم التلال الصغيرة التي ترد عنها عادية الرياح العاصفة .

ولقد اعتاد هوراس أن يختلف الى الحانة في كل ليلة ويندمج بالصيادين ، وعن طريقهم عرف القديس أسماء سادة القرية وأصحاب الشأن فيها . فأعظمهم ثراء بلا ريب رجل يدعى هانز بلوم وهو ينحدر من أصل بويري وقد أوفى على الخمسين من عمره . ويلقبه أهل القرية بالبخيل اذ يعزون اليه الشح وامساك اليد . ولبلوم ابن أخ يزوره في كثير من الأحيان . وبقدر ما ينفر الناس من العم تراهم يحبون ابن الأخ . ولا عجب فالجرنون لوماس كوبر شاب دمث الأخلاق رضي الطباع من هذا الطراز العصري الظريف الذي يضع على عينه مونوكلا ويصفه الصيادون بالبلاهة والغباء لشدة سذاجته .

وهناك عدا هذين الرجلين قاضي سابق يدعى سير ميشيل لاينج . وتاجر غني من أكبر تجار البقالة بالجملة (وقد اعتزل العمل) يدعى سير جون بيتل . وهناك أيضا منزل ينعته أهل القرية « بالقصر » تقيم فيه امرأة لها سجايا الرجال تدعى مس أجنا جيرتون . وأهل القرية يمقتونها وينفرون منها ولكنهم يختصون برعايتهم وحبهم ربيبة مس جيرتون وهي فتاة في العشرين من العمر موفورة الحظ من الجمال .

ولا يبقى بعد هذا من أصحاب الشخصيات البارزة الا ثلاثة رجال : سميث وشو وهما موظفان سابقان اعتزلا خدمة الحكومة منذ أمد طويل . ثم طبيب يدعى الدكتور كارن .

* * *

وجعل القديس وهو في طريقه يستعرض هذه الأسماء وما انتهى اليه في شأن أصحابها ثم قال لنفسه :

— ان أمر هؤلاء جميعا لا يعنيني .. عدا طبعا تلك الفتاة اللطيفة التي تقيم مع مس جيرتون .. ترى أتصبح هذه الفتاة هي بطلة المغامرة . ؟ أهي الحسناء الجميلة التي يسارع البطل الى انقاذها من يد أعدائها . ! هذا ما لا علم لي به . وان كنت أتمنى ذلك ما دامت هي حسناء كما يقولون وما دمت أنا بطل القصة . !

وبينما كان القديس متجها الى حانة « النمر الأزرق » مر بحانوت البقالة الوحيد الموجود في القرية .

وفجأة رأى فتاة تخرج من الحانوت .

وحدجها سيمون تمبلار بنظرة فاحصة وقال لنفسه :

— عجبا . ! فكرت فيها فاذا بها تبدو أمامي بغتة . !

على أن الشيء الذي أدهشه وأذهله هو أنه رأى الفتاة تسير اليه كأنما تريد أن تعترض طريقه . وكانت هيفاء القوام رشيقة ، ترتسم على شفتيها ابتسامة متألقة .

وفجأة افلتت أصابعها اللفافة التي كانت تحملها . وانحنى القديس فالتقط اللفافة وأعادها اليها .

ورمقته الفتاة بابتسامة عذبة فاتنة .

وقال القديس :

— انك بلا ريب الفتاة القاصر التي تعيش تحت وصاية مس جيرتون سيدة « القصر » . أمس باتريشيا فيما أظن . ؟

فلحنت الفتاة رأسها وقالت :

— نعم .. باتريشيا هولم ثم حدجته بنظرة فاحصة واردفت تقول :

— وأنت بلا شك مستر سيمون تمبلار « الغريب الغامض » . ؟

فابتسم مستر تمبلار وقال : يا الهى . ! هل اطلقوا على لقبا بهـذه السرعة . ؟

فقالت الفتاة مستطردة :

ــ وهناك اشاعات عجيبة تتطاير عنك . !

فابتسم مرة اخرى وقال متوسلا :

ــ ارجوك ان تقصى على بعض هذه الاشاعات . ؟ انى احب ان اتسلى بسماع ما يقوله الناس على . !

فرفعت الفتاة حاجبيها قليلا وقالت :

ــ ان اهل هذه القرية وانا منهم . قوم لا يحبون الغرباء كثيرا ولا يرتاحون الى وجودهم بينهم . فنحن ننفر من الغرباء ونابى ان نرحب بهم ولقد كانت اقامتك فى الحصن مثار دهشة الناس واستغرابهم وقد مضى اهل الطبقة الراقية فى القرية يسائلون انفسهم عما اذا كنت ضيفا محتملا أو غير محتمل . !

فضحك القديس وقال :

ــ يسرنى أن يهتم بى اهل الطبقة الراقية فى القرية كل هذا الاهتمام . ! هذا شرف عظيم لا استحقه . ! وفى نيتى اذا ما رجعت الى الحصن ان اخلو برهة الى نفسى افكر فيما اذا كان اهل الطبقة الراقية يحتملون او لا يحتملون . !

وساد صمت قصير قطعته الفتاة بقولها :

ــ ما الذى دفع بك الى هذه القرية الموحشة المنعزلة . ؟

فرماها القديس بنظرة طويلة قبل ان يجيبها بقوله :

ــ الولع بالمغامرات . ! انى رجل فقير واريد ان اصبح فى غمضة عين من اغنى الناس . !

فرفعت حاجبيها وراحت تنظر اليه . ولكن وجهه لم يكن ينم عما يدور بخلده . كان يبدو بريئا طاهرا كالأطفال .

وقالت باتريشيا هولم فى شىء من الاستغراب :

ــ لم يخطر لى ببال مطلقا ان يحضر احد الى هذه القرية المزوية المنسية ينشد الثروة . !

فارتسمت على شفتى القديس ابتسامة خفيفة وقال :

ــ بل ان الأمر على النقيض من ذلك . ! ان بيكومب مكان يجب ان لا يتخلف عنه مغامر جرىء محب للنضال والكفاح والهجمات والقتل والدماء .

فقالت باتريشيا مستنكرة :

ــ هذا غريب . ! انى اعيش فى هـذه البلدة منذ عهد الصبا ومع ذلك لم ار فيها الا الهدوء الشامل . ولم ينته الى سمعى نبأ اى حادث مزعج . وخيل اليهـا ان القديس يهزأ بهـا ويسخر منها .

قال القديس : اذا كان الأمر كذلك فى الماضى فلن يكون على هذا النحو فى المستقبل ان الحوادث العنيفة لن تلبث ان تترى وستشهدين ذلك بنفسك عاجلا .

وكانا قد بلغا « القصر » فوقفت الفتاة وقالت :

ــ اتحب أن تتفضل بالدخول . ؟

ولم يكن القديس ممن يرفضون دعوة توجه اليه لا سيما اذا توقع منها شيئا من المعلومات فقال :

ــ بكل ارتيـاح . !

وسار فى اثرها بلا تردد .

وقادته الفتاة الى قاعة الاستقبال وقالت :

ــ ساخطر عمتى بقدومك وستكون سعيدة جدا بهذه الزيارة .

ــ هذا ما لا ارتاب فيه . !

وارتسمت على شفتيه ابتسامة .. وخيل الى باتريشيا انها ابتسامة هزء واستخفاف . !

وان هى الا لحظات حتى جاءت مس جيرتون .

وما وقع عليها بصر القديس حتى ادرك ان هوراس — فضلا عن اهل القرية — لم يبالغ ولم يجرف حين وصفها بأنها الدمامة المجسمة . ! انها رجل دميم على صورة امراة . ! لها قامة الرجال وإذا صافحت هزت اليد فى شدة وعنف كما يفعل الرجال . ! اما وجهها فيدل على الخشونة وينفى من الذهن انه وجه امراة . وكانت ترتدى قميصا وتعقد ربطة حول عنقها وتلبس جوربا من الصوف . !

وقالت مس جيرتون :

— لطالما تساءلت متى يتاح لى ان اسر بمقابلتك . . ؟ اتحب ان تتناول العشاء لدينا فى احدى الليالى . ؟ سأقدمك الى اصدقائى الاخصاء . !

فقال القديس مجيبا :

— الحق انى لم اكن اتوقع ان اجد فى بيكومب رفاقا كرماء ودودين ولهذا تركت ثوب السهرة فى لندن .

— اذن يمكنك ان تتناول الغداء لدينا . ! اتحب ان يكون ذلك اليوم . ؟

— اسألك المعذرة اليوم . فقد اخطرت خادمى بأنى ساعود فى تمام الساعة الواحدة . فلو انى تأخرت نصف دقيقة لوقع فى روعه ان مكروها نزل بى ولخرج يبحث عنى فى كل مكان متسلحا بمسدسه الضخم . ! وما يدريني انه قد يقتل نصف اهل القرية اثناء بحثه عنى . ؟

وساد الصمت . . ومضى القديس يفحص تمثالا اثريا جميلا كأنما لم يفطن الى الاثر العميق الذى احدثته كلماته .

وقالت باتريشيا :

— لقد جاء مستر سيمون الى القرية ينشد المغامرات . !

فقالت مس جيرتون فى اقتضاب :

— ارجو له التوفيق . ! اذن ستتناول الغداء لدينا يوم الجمعة القادم يا مستر سيمون . ؟

— بكل ارتياح ومع الشكر الجزيل . !

وانسحبت مس جيرتون من الغرفة على الاثر ولبث القديس بضع دقائق يتحدث الى باتريشيا . ولم يشر مرة اخرى الى الدماء والجرائم والاعتداءات . وانما راح يتحدث فى شؤون اخرى عادية ، ومن حين لآخر كان يرمى الفتاة بنظرة فاحصة اذا فطنت اليها باتريشيا تخضب وجهها احمرارا وغضت من بصرها .

واخيرا نهض واستأذن فى الانصراف ، فشيعته الفتاة حتى باب الحديقة .

واستندت الفتاة مرتفقة الى السياج وقالت فجاة :

— انك فيما ارى شخص عاقل ومتزن ، فما هو اذن السر فى هذه الحكايات التى لا تفتأ ترددها عن الدماء والقتل والحوادث العنيفة . ؟

فقال القديس مجيبا :

— ليس فى الامر سر على الاطلاق . . كل ما هنالك انى اوثر دائما ان افضى بالحقيقة واكره ان اكتم شيئا . . ولكن مما يؤسف له ان الناس لا يصدقوننى ويحسبون دائما انى امزح .

— ولكنك تكلمت عن جرائم ومسدسات . .

فلاحت على شفتيه ابتسامة هازئة وقال :

— وهذا حديث حق لا كذب فيه . ! وقد تصدقيننى اذ علمت — مثلما اعلم انا — ان دمى اهدر منذ الصباح . ! واذ كنت لا تريننى الان جثة هامدة فهذا مرجعه الى حسن الحظ ليس الا . .

وابتسمت الفتاة .. وادرك القديس انها لا تصدقه .. فقال :

— يلوح انك انت ايضا لا تؤمنين بما اقول . !

— هيه .. انني ..

وصمتت .. فقال في لهجة جدية :

— في يوم من الايام ستأسفين على انكارك قولي ؟ ! في يوم من الايام ستدركين انني صدقتك القول . ! واذ ذاك ستسألينني الصفح عما اسأت الى بعدم تصديقك قولي . !

ثم انحنى امامها يحييها واستدار على عقبيه وسار دون ان ينطق بكلمة واحدة .

وبعد ساعة وصل الى الحصن فوجد هوراس في انتظاره وقد اضناه القلق .

وقال الخادم :

— لو انك تأخرت خمس دقائق اخرى لانطلقت اجوب الارض بحثا عنك ولقلبت الدنيا راسا على عقب . ! ولقد كنت اتوقع ان اجد جثتك على شاطىء النهر . !

وقال القديس دون ان يحفل بما ردده هوراس :

— هوراس .. لقد التقيت الان باجمل فتاة في العالم . ! وطبقا لقواعد المغامرات يجب ان يحدق الخطر بهذه الفتاة . واذ ذاك اخف الى نجدتها واحتويها بين ذراعي واقبلها و . .

فقال هوراس مقاطعا :

— اعددت المائدة .

وجلس القديس يأكل وهو يفكر في ... باتريشيا هولم لانت تسلبه لبه .. ثم انتقل بخواطره الى الاخطار التي يتهدده ..

انه يعلم ان النمر مقيم في هذه القرية .. ولكن من يكون النمر بين رجالها انه لا يعلم حقيقة شخصيته حتى الان . !

وكل ما لديه من معلومات هو ان النمر في هذه القرية ، وان النمر يمثل مليونا من الجنيهات .

ومن اجل هذا جاء القديس الى قرية بيكومب الهادئة الموحشة .. جاء يسعى الى الاستيلاء على مليون من الجنيهات . !

الفصل الثاني

قالت باتريشيا هولم :

— انك ستراه بطبيعة الحال ، فقد دعوناه لتناول الغداء عندنا اليوم . !

وكان الشاب الذي تتحدث اليه هو الجرنون لوماس كوبر ، وهو من ذلك الطراز الذي يظهر في الافلام الهزلية ليمثل شخصية ابله يفزع لاقل شيء ويدهشه اي شيء .

وليس من السهل ان تتبين سن لوماس كوبر ، فقد يقع في روعك انه في الخامسة والثلاثين ، وقد يخيل اليك انه لا يبدو في الخامسة والعشرين .. ولكن لو انك القيت عليه نظرة فاحصة ودرسته من كثب لايقنت انه تجاوز الثلاثين بلا نزاع .

واصغى الجرنون او الجي كما يلقبه اصدقاؤه الى حديث باتريشيا مفغور الفم ذهولا .. واسترسلت الفتاة تقول :

— وهو ظريف جدا ، حلو الحديث ، لين العريكة ، ولست آخذ عليه الا كثرة حديثه عن النكبات والدماء ، ولكنه يزعم ان هناك من يحاول اغتياله والفتك به .

فقال الجي (الجرنون) :

— اذن فهو مريض بداء الخوف من القتل . !

فهزت الفتاة راسها نفيا وقالت :

— لا أظن ذلك : اذ يلوح عليه أنه متمتع بكامل قواه العقلية .. وهو الى هذا رصين متزن سديد الرأى . وفى صفاته هذه ما يحملنى على التسليم بما يقول . اذ ليس معقولا أن يكون واهما موسوسا وله من رجاحة العقل ما خبرت . وكم يسوءه أن تحمل كلامه على محمل الهزل والدعابة .

ففرك الجى كفيه سرورا وقال :

— عال جدا . ! لو أنه استطاع أن يوقظ هذه القرية الميتة من غفوتها لاتخذته صديقا لا أتردد فى صداقته لحظة . . ! وانى لشاكر لك دعوتى الى المأدبة فانى جد متلهف الى التعرف اليه . !

وفى نحو الساعة الواحدة لمحت باتريشيا القديس مقبلا يسير على مهل فى الطريق المفضى الى « القصر » فمضت الى باب الحديقة ترقب قدومه .

حياها القديس باسما وقال :

— اننى لا أزال على قيد الحياة ولم أمت بعد .. ! لقد جاء أحد كبار القتلة الأشرار وجعل يدور بالأمس حول الحصن فأرسلت اليه التحية على صورة دلو مملوء بالماء صببته فوق رأسه . ! وصدقينى انه ليس كالماء شىء أدعى الى تهدئة ثورة القاتل الهائج الأعصاب . !

فقالت باتريشيا باسمة :

— يلوح لى يا صديقى أن مزاحك عتيق غير قابل للتجديد . ! أليست لديك نكات أخرى تلقيها الى غير نكات الدماء . والقتل . !

فهز القديس رأسه فى شىء من الأسى وقال :

— انك تدهشيننى . ! وانكارك هذا يكاد يجعلنى أنا نفسى أشك فى قولى . ! ان لك طريقة فى ابداء الأفكار تجعل

المرء عاجزا عن أن يرتاب فى كلمة واحدة مما تقولين . !

فضحكت الفتاة وقالت :

— أرجو على الأقل أن لا تزعج ضيوفى بمثل هذه الأحاديث . !

— ستكون ولدا عاقلا مؤدبا فاطمئنى . !

ودخل القديس الى قاعة الاستقبال .. وتم التعارف بينه وبين الجى . !

وهتف الشاب الأبله يقول :

— انى سعيد بمعرفتك ! والحق انى كنت أتمنى منذ أمد طويل أن أتعرف اليك . !

فقال القديس فى صوت هادىء :

حقا . !

ونزع الجى المونوكل وجعل يدير عينيه فى القديس ناحصا مدققا . ثم صاح يقول :

— اذن فهذا هو الغريب الغامض . !

ثم أردف على الفور مستدركا :

— وأرجو أن لا يغضبك يا سيدى أن أنعتك بهذا الوصف فان أهل القرية جميعا لا يتحدثون عنك الا نعتوك بالغريب الغامض ... ! ولست أكتمك أن هذا اللقب هو أصلح الألقاب لك وأشدها انطباقا عليك ! يا لها من فكرة غريبة أن تستأجر الحصن لتسكنه . ! لا شك انه ملىء بالتيارات الهوائية الشديدة اذ لا نوافذ بالحصون طبعا .. ومن المؤكد يا سيدى انك من طراز الأبطال الذين تشاهدهم على الشاشة الفضى كثيرا !

فقاطعته باتريشيا بقولها :

— الجى . ! أحذرك . هذا مما يخل بحسن الأدب . !

— ولكنى اقول هذا عن اخلاص ولست اقصد اية اهانة .!
اليس كذلك يا صاح .!
فقال القديس مؤمنا :
— طبعا .. طبعا ..
وكانت فى كلماته نبرة باردة جافة فخشيت باتريشيا ان يمتد الخلاف بين الرجلين فاسرعت تقول :
— الجى .. ارجوك ان تخبر عمتى اننا فى انتظارها .
وحين غادر الجى الغرفة قال القديس :
— هذا الشاب هو ابن اخ هانزبلوم .. وهو فى الرابعة والثلاثين من العمر وقد قام برحلة طويلة فى امريكا الشمالية . ثم جاء الى انجلترا فى طريقه الى الترنسفال ليلتقى بمنجم للذهب ..

فارتسمت امارات الدهش على وجه الفتاة وقالت :
— جميل جدا . ! انك تعرف عنه اكثر مما اعرف انا . !

فضحك القديس وقال :
— بهذا تقضى مهنة المغامرين .. ! على المغامر ان يتدخل فى شؤون سواه . ولا نجاح له فى مغامراته الا اذا كان يعلم الكثير من دقائق حياة الاخرين .
فقالت تتحداه :
واظنك قد تزودت ايضا بشىء من المعلومات عنى . ؟
— لست اعرف عنك الا الشىء القليل .. لقد تلقيت علومك فى جامعة مانفيلد ومس جيرتون ليست عمتك ولكنها احدى قريباتك البعيدات . ولقد امضيت حياة هادئة وقلما قمت بشىء من الرحلات . وخلف لك ابوك ثروة هى الان بين يدى مس جيرتون التى تتولى استغلالها حتى اذا بلغت الخامسة والعشرين سلمتها اليك .. اى بعد خمسة اعوام .

فحدجته باتريشيا بنظرة فاحصة وقالت :
— بعد أن سمعت ما سمعت استطيع ان اصارحك بان فى وسعك أن تصبح فضوليا .
— هذا صحيح .. فان الرجل اذا اهدر دمه لا يجد مفرا من ان يجمع كل ما يمكن من المعلومات عن الاشخاص الذين يلتقى بهم حتى يعرف من اين يتقى الخطر الذى يتهدده .
ثم رفع الكاس الى شفتيه وهو يقول :
— اشرب نخبك لان لى بك ثقة عمياء .
ولم تجب باتريشيا على هذه التحية اذ دخل الجى فى هذه اللحظة وفى صحبته مس جيرتون ورجل طويل القامة نحيف البنية قدمته ربة الدار باسم « مستر بلوم » فقال القديس :
— انى سعيد بمقابلتك يا سيدى ويؤسفنى اشد الاسف ان اسهم مناجم ديب آخذة فى الهبوط يوما بعد يوم ، ولكن من المحتمل انه قد حان اوان الشراء .
فاجفل بلوم وقال فى استغراب :
— يلوح لى يا سيدى انك على علم بتقلبات البورصة . !
فابتسم القديس ابتسامة الملائكة وقال :
— اترى الامر غريبا . ؟
وقدموه الى زائر جديد هو سير ميشيل لاينج القاضى السابق وقد صافح القديس بحرارة وجعل يتفرس فيه عن كثب اذ كان قصير البصر ثم قال له :
— انك تذكرنى برجل رايته مرة فى محكمة الجنايات ولست اذكر الان باية مناسبة كان ذلك . ؟
فقاطعه القديس بقوله :
— اما انا فاعرف هذه المناسبة واذكرها . ! انى اشبه شبها منقطع النظير لصا يعرف باسم هارى الدوق . وقد حكمت انت عليه يا سيدى القاضى بالسجن سبعة اعوام

ولكنه ظل هاربا منذ أكثر من ست سنوات وقد تطايرت الاشاعات منذ شهور بأن اللص الهارب قد رجع الى انجلترا . فلو انى كنت مكانك لما غادرت بيتى ليلا .

ودعت مس جيرتون ضيوفها الى قاعة الطعام . فلما تأبط القديس ذراع باتريشيا همست فى أذنه تقول :

— ألى نيتك أن تستمر على هذا الاسلوب الفذ فى الحديث ؟

— لقد اردت فقط أن استرعى الأبصار . وقد وفقت فلن أطرق موضوع الدماء مرة أخرى .

وبر بوعده .. ولكن باتريشيا أخذت تسائل نفسها فى دهشة واستغراب عن مدى هذا النجاح الذى أصابه تمبلار وما كنهه وما قيمته ؟ والى أى غرض يرمى باسترعاء الاهتمام .. ! ان الضيوف لا ينفكون يرمونه بنظرات فاحصة ما بين حين وآخر .. نظرات يشيع منها معنى القلق والريبة .

وفطن تمبلار فجأة الى أن باتريشيا أيضا قد أخذت بدورها تقيسه بنظرة فاحصة .. فلما أرسل اليها بصره أشاحت بوجهها وراحت تتحدث فى اهتمام الى سير لاينج . وبعد حين اذ ارادت أن تختلس اليه النظر مرة أخرى وجدته متأهبا للأمر كأنما كان يتوقع منها ذلك وخجلت الفتاة ولما رأته يضحك هازئا استولى عليها الغضب .

وساهم القديس فى الحديث بنصيب وافر .. انه رجل جوالة طاف ببلدان كثيرة واشتبك فى مغامرات لا حصر لها . فأخذ يحدث القوم عما شاهد وسمع .. لم يحدثهم عن وقائعه التى أشارت اليها الصحف وعزتها الى القديس حتى لا يكشفهم على شخصيته الحقيقية وانما كاشفهم بوقائع أخرى لم تعرف الصحف أن للقديس دخلا فيها . فقال انه اشترك فى تهريب الأسلحة الى بلاد الصين والمكسيك ... واشعل نيران ثورة فى المكسيك . وربح نصف مليون جنيه

فى البرازيل وتبرع به بعد أيام لبعض الجمعيات الخيرية فى الوقت الذى كان فيه بحاجة الى عشرة جنيهات ... الخ .

ولما فرغ من حديثه قالت مس جيرتون :

— ما دامت حياتك على هذا الطراز الصاخب فلن تروقك بلدتنا هذه لما طبعت عليه من الدعة والهدوء .

فهز القديس رأسه وقال :

— لست أشاطرك هذا الرأى يا مس جيرتون اذ يلوح لى ان الهواء هنا مكهرب مثقل بالمغامرات .. !

وقال بلوم متسائلا :

— ما هى مهنتك يا مستر سيمون تمبلار .. ؟

فأجاب القديس فى غير اكتراث :

— انى ابحث عن مليون جنيه .. ! انى كما ترى رجل محب للترف وحياة الرفاهية .. واعتقد اننى لن أظفر بهذه الحياة التى أصبو اليها الا اذا بلغ ايرادى الشهرى خمسة الاف جنيه على الأقل .. ؟

فأغرق الجمع فى الضحك وقال :

— عجيب .. ! غريب جدا .. ! هذا أمر مدهش ... !

فأحنى القديس رأسه وقال :

— انى اشاطرك هذا الرأى ..

وقال لاينج مقاطعا :

— ولكنى اخشى ان يعييك البحث عن مليون جنيه فى بيكومب .. ؟

فابتسم القديس ابتسامة خفيفة وقال :

— انك تثبط همتى بهذا الكلام يا سير ميشيل .. ! ولكنى بالرغم من ذلك شديد التفاؤل لقد قيل لى ان فى بيكومب مليون جنيه . وانه لعسير على ان أرمى بالكذب رجلا اعترف لى بهذا وهو يحتضر .. ! نعم .. فقد كان هناك رجل يحتضر فى مكان

يعرف باسم آبير بالقرب من سنغافورة . وقد فر الرجل هاربا الى قلب الغابة واعداؤه فى اثره . وقد استطاعوا أن يظفروا به وطعنوه بالخناجر . واتفق ان جئت على اثر ذلك وحاولت ان انقذه ولكن جهودى ذهبت سدى وفاضت روحه وهو بين ذراعى . وقبل أن يلفظ النفس الاخير كاشفنى بسر قريتكم هذه وسر المليون جنيه .. ولكنى اخشى ان يكون فى حديثى ما يبعث الملل فى نفوسكم .. ؟

فقال الجى والحاضرون يؤيدونه :

ـ كلا مطلقا .. استمر من فضلك .

ـ مهما يكن من امر فانى اعتقد ان حديثى هذا كفيل بان يبعث السأم فلندعه الى شأن آخر .. اتعلمون انه حدث فى البرازيل ..

ولم يطرق بعد ذلك حديث المليون جنيه .. !

وبعد الفراغ من الطعام انسحب القديس مستأذنا وشيعته باتريشيا حتى باب الحديقة .

وقال القديس يخاطبها :

ـ عندما تزدادين معرفة بى ستصفحين عنى ولا تغضبين اذا ثابرت على التحدث من الدماء والجرائم .

فقالت فى برود :

ـ اهو داء مزمن فيك أن تكون مثيرا الى اثارة من حولك بأحاديثك ... !

فابتسم وقال :

ـ انه داء مزمن بكل اسف ... !

ومضى الى داره .

وغادر القديس الحصن بعد الظهر على الرغم من معارضة هوراس الذى كان يخشى مكائد النمر ومؤامراته . ولكن القديس كان ينشد دراسة المواقع المجاورة حتى يكون على علم

بمسالك القرية وطرقاتها . فاتجه الى التلال المحيطة بيبكوسير وراح يجوس خلالها .

وفجأة لمح شبحا بين التلال .. على مسافة نصف ميل .

واقترب القديس من الشبح ثم وقف مكانه وهو يفكر وقد عقد حاجبيه .

كان الرجل مرتديا ثياب الجولف وقد شد الى كتفه جرابا صغيرا وفى يده شبكة لصيد الفراش . ومضى الرجل يتجول من مكان الى مكان والقديس يرقبه فى اهتمام . وكان يراه فى بعض الاحيان يطوح شبكته فى الهواء محاولا اقتناص فراشة فاذا ما ظفر بها جثا على الارض واخرجها من شبكته ووضعها فى علبة التى بها داخل الجراب .

وسار القديس حتى اقترب من صائد الفراش . والرجل فى شغل عنه بعمله وقد اخرج منديلا يمسح به وجهه .

فلما رأى القديس على قيد خطوة منه قال يحييه :

ـ طاب يومك يا سيدى ..

فقال القديس مجيبا :

ـ فى الحق ان الجو جميل اليوم .

وقال صائد الفراشات وهو يلوح بشبكته :

ـ تسلية لطيفة وصحية .

وكان الرجل اصغر قامة من القديس وان كان اضخم جسما . وعلى عينيه نظارات سوداء ترد عنه عادية الشمس ووهجها الذى يبهر البصر . وكان له شارب صغير الشعر .

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى القديس وقال :

ـ الست انت الدكتور كارن .. ؟

فاجفل الرجل وقال فى استغراب :

ـ كيف عرفتنى .. ؟

فتنهد القديس وقال :

— يا الهي . ! متى يمكن ان لا اثير اثوالى دهشة الناس . ؟ لا اتحدث الى احد بكلمة واحدة الا دهش واستغرب . ! ومع ذلك فالامر بسيط جدا : لما لم ار عليك سيماء الاطباء ادركت على الفور انك لابد ان تكون الدكتور كارن . ! وكيف حال العمل . ؟

فقال الرجل بعد تريث قليل :

— انك تسأل طبعا عن مهنتى . ؟

فتنهد القديس مرة اخرى وقال :

— يا الهي . ! وحتى اسئلتى اجد صعوبة فى ايضاحها للناس . ! كلا يا سيدى .. انى لا اسألك عن مهنتك الحالية وانما اسأل عن مهنتك الاخرى . !

وجعل كارن يتأمل القديس على حين ارسل هذا بصره الى البحر متشاغلا .

واخيرا قال الدكتور كارن :

— انك ماهر جدا يا تمبلار . !

فابتسم القديس وقال :

— انني تمبلار فى نظر الناس اما فى نظرك انت فانا بالطبع القديس . ! انك تعرف من انا فلا داعى للمراوغة . ! نعم .. فانى ماهر جدا يا كارن والا لكنت جثة هامدة منذ سنوات فى تلك الحوادث التى تعرفها . ويجب ان تعلم ايضا ان لى ذاكرة حادة واننى لا انسى وجها رايته ولو مرة واحدة .. ولو كان ذلك منذ سنوات بعيدة . ! ومن اجل هذا لم انسك . !

فابتسم كارن وقال :

— انك مخطىء يا تمبلار . !

— يجوز . ! وهل هناك انسان معصوم من الخطأ . ؟ ولكن خبرنى يا عزيزى كارن . ان حبيك بارز منتفخ بشكل

يدل على ان فيه مسدسا فهل تخشى يا ترى ان تثب عليك احدى الفراشات فتاعبت لمقابلتها . ؟

فاحمر وجه كارن وقال فى ارتباك :

— ارجو يا سيدى ان تسمح لى بان اقول لك ...

فقال القديس :

— بكل ارتياح . ! كاشفنى بكل ما لديك .. ويمكننا ان نرجع معا فنتناول العشاء عندى فى الحصن . ولن اقدم اليك سوى الطعام المحفوظ فى العلب لانى كففت عن اكل اللحم الطازج مذ ماتت قطتى بسبب شراهتها اذ ارادت ان تتذوق اللحم الذى وضع على مائدتى فكان لسوء حظها مسموما . !

واخذ بذراع كارن وسارا معا والقديس لا يكف عن الحديث لحظة . وبعد بضع دقائق بلغا الحصن فجلسا الى احدى الموائد يحتسيان كاسا من شراب خفيف .

وقال الدكتور كارن بعد برهة :

— انك شديد الحذق يا سيمون .

فابتسم القديس وقال :

— ولماذا .. الان تمويشك لم يجز على . ؟

— كلا .. بل لانك لم تتردد لحظة واحدة .

— من تردد قضى عليه بالاخفاق .

وفى اثناء تناول طعام العشاء جعلا يتجاذبان اطراف الحديث فى شؤون شتى .. الادب والسياسة والاجتماع ... الخ . وكان القديس على عادته فى كل ما يطرق من موضوعات جم الاطلاع سديد النظرة .

ولما قدم اليهما هوراس القهوة اخرج كارن علبة سجائره وبسطها الى القديس فهز هذا راسه باسما وهو يقول :

— كلا يا صديقى العزيز . ! لا اريد سيجارة منك الان . فبان الامتعاض على وجه صائد الفراشات وقال :

— ولكنها من صنف جيد ، أؤكد لك ان . .

غير أن القديس لم يدعه يتم جملته وانما قاطعه بقوله :

— انني اعرف أنك تحمل في علبتك نوعا معينا من السجائر له على خصومك تأثير غريب اذ يفقدهم الحس .

فضحك كارن وقال :

— كان هذا فيما مضى اما الان فلا . . هذا الى انني اعلم عن يقين أنك لا تحمل مسدسا .

— وما حاجتي الى المسدس في هذه البلدة الوديعة الساكنة . . ولو انني اطلقت رصاصة واحدة في هـذه الارجاء لفزع الناس ولخفوا سراعا الى الشرطة مستنجدين .

وتراجع كارن قليلا في مقعده وقال :

— اسمع يا سيمون . ! لقد مضت سـاعة كاملة او اكثر ونحن نتحدث ولكن في سخافات . . ! كل منا يخادع الآخـر ويماريه ويحاول أن يكتم نواياه دونه . فهل توافقني على أن الوقت قد حان لكي نلعب « على المكشوف » . ؟ ! اني اعرف عن يقين انك لم تحضر الى بيكوب لتستمتع بالهدوء والوحدة . ! اني اعرفك حق المعرفة . ولا يخالجني شك في أنك لا تحل بمكان الا اذا كنت ترمي الى غاية بعيدة . فلن اصدقك اذا اكدت لي انك جئت الى هذه البلدة لتستحم في البحر ولتجمع الورود والأزهار . ! انك لم تحضر الى بيكوب الا سعيا وراء مبلغ جسيم من المـال . ؟ اليس كذلك . ؟

فابتسم القديس وقال :

— وما يدريك اني جئت انشد الهدوء فعلا اذ عولت على ان اعتزل العمل . ؟

— انت تعتزل . ! انت يا رجـل المغامرات والنضـال والتحدى تكف عن الكفاح وتقضي بقية العمر مستغرقا في النـوم . ! هـذا الكلام لا يصدقه احد مهما اشتدت

سذاجته . ! وبهذه المناسـبة ما الذى تظن اني فعلت منذ حللت بهـذه القرية . ؟

— كنت تصيد الفراشـات طبعا .

فهز الدكتور رأسه هزة تدل على نفاد الصبر وقال :

— الم اقل لك انك ماهر شديد الحذق . ! نعم انك شديد الحذق ، ولكن ارجوك الا تعتبرني مغفلا . ! اني اعلم اية غاية دفعت بك الى هذه الارجاء الموحشة . اما انا فقد جئت لأقف حائلا دون تحقيق غايتك ! نعم . لقد جئت الى بيكوب لأفسد عليك مناوراتك ولأحطم خططك . ! سأكرس كل وقتي . . وكل ذكائي للقضاء على الاعيبك . ! الا اذا كنت ترضى بأن تحالفني وتصبح شريكا لي . . ! سيمون . . اني اوثر ان اتخذك صديقا على أن اتخذك عدوا . ! فما رأيك . ؟ اتقبل . ؟

ولبث القديس صامتا برهة وهو مرسل بصره الى مصباح الزيت الموضوع على المنضدة لانارة الغرفة اذ لم يكن الحصن مزودا بالتيار الكهربائي .

وبعد برهة هز القديس رأسه وقال في هدوء :

— لا استطيع ان اقبل اقتراحك هذا . . ولدي مليون سبب على الأقل يحفزني كل منها لرفض هذا الاقتراح بمنتهى الشدة . . انك تعلم يا عزيزي كارن أن مليون جنيه سرقت من بنك الاتحاد الدولي في شيكاغو وقد صح عزمي على ان استولي على هذا المليون واسترده من سارقيه . !

— او تظن أن الامر يمكن ان يتم بمثل هذه السهولة . . ؟

— لست اظن . . ولكني اعتقد واومن واوقن . . !

ثم اعتدل قليلا في جلسته وقال بنفس الصوت الهادىء :

— وهناك سبب آخر يحفزني الى الرفض هو انني لا اسمح لأعوان الشر باستراق السمع عند النوافذ . ؟

فقال كارن متسائلا :

— ماذا تعنى . ؟

فقال القديس وهو يرفع صوته وينهض واقفا :

— اريد أن اقول يا عزيزى كارن ان احد اعوان النمر يراقبنا الان من كوة الحصن واذا ابدى اية حركة اطلقت عليه النار . !

الفصل الثالث

انبعث كارن واقفا بدوره ومد يده على عجل الى الجيب الذى كان يودع فيه مسدسه .. فضحك القديس وقال :

— لقد فر هاربا . ! ولكن لعلك ادركت الان ان حياة المرء تصبح مستهدفة لاشد الاخطار عندما يناصب النمر العداء ، وقد يكون الامر فى القصص باعثا على التسلية .. ولكنه فى الحياة الواقعية مثير للمتاعب والقلق . !

قال هذه الكلمات فى صوت عادىء ساكن ، وكان قد اطفأ مصباح البترول فى نفس اللحظة التى نهض فيها كارن واقفا .. واسترسل القديس قائلا :

— ان اعوان النمر قوم حاذقون ايضا .. لقد اقترب هذا الشيطان من الكوة دون أن اسمع لاقترابه وقعا . ولقد كان فى وسعه لو اتسع له الوقت أن يفرغ رصاص مسدسه فى صدرى . ! وسأبحث عنه حول الحصن فارجوك أن تنتظرنى لحظة .

وسمع كارن وقع خطوات القديس وهو يدور حول الحصن ، وبعد لحظات دخل عليه هوراس يحمل شمعة موقدة فى يده اليسرى ومسدسا ضخما فى اليد اليمنى ، ولم ينطق هوراس بكلمة واحدة ، فابتدره كارن بقوله :

— الحياة هنا مثيرة عنيفة . !

فارسل اليه هوراس نظرة تدل على الحذر ، وقال مغمغما :

— هيم .. !

وبعد عشر دقائق ظهر القديس ثانية وهو يقول :

فآثر كارن ان يلزم الصمت .

— ليس فى وسعى أن اعمل شيئا ، الظلام حالك ولا سبيل الى البحث عنه ، ولا شك انه فر هاربا الى القرية ..

وغادر هوراس الغرفة فى صمت وسكون .. وكارن يتابعه ببصره فى اغتياظ .

واشعل القديس المصباح ثانية وكارن يتأمله متفكرا .. لقد التقى بكثير من المغامرين ، ولكنه لم ير من هو اثبت جنانا من هذا الرجل .

وعاد الدكتور يقول :

— نعم .. انى افضل أن اراك تحارب فى صفوفى .. فكر فى الامر واعلم انى سأجزل لك الجزاء .

وارتسمت على شفتى القديس ابتسامة هازئة وقال :

— اهذا عرض رسمى . ؟

— كلا بالطبع .. ! ولكن فى وسعى أن احصل لك على موافقة رسمية .

فقال القديس مجيبا :

— اشكرك يا كارن .. ان اقتراحك لا يغرينى . ! فى وسعى أن اعمل وحدى وسيكون جزائى اذ ذاك مضاعفا .. ولكن اذا اردت أن تمد الى يد المعونة وتعمل معى فسأجزل لك العطاء ، فترو فى الامر يا حضرة المفتش .

فقال كارن :

— ارجوك أن لا تخاطبنى بلقبى الرسمى .. يكفى أن تلقبنى بالدكتور كارن . !

— فليكن .. ولكن انى نبئك ان تستمر طويلا على انتحال
هذا اللقب واخفاء شخصيتك الحقيقية .
فقطب كارن جبينه وقال وهو ينهض واقفا :
— اظن ذلك .
فقال القديس :
— يجب ان ارافقك حتى باب دارك فان الطريق كما تعلم
محفوف بالمكاره .
فهز كارن كتفيه استخفافا وقال :
— اتحسبنى فى حاجة الى مربية .. ؟
تأبط القديس بذراع الشرطى السرى وقال :
— كلا بالطبع . ولكننى فى حاجة الى الهواء الطلق .
وخرج الرجلان معا .
وكان الدكتور كارن يقيم فى منزل ريفى صغير من الطراز الذى يوصف عند الانجليز بالاكواخ . ومسكن كارن ملاصق « للقصر » الذى تقيم فيه باتريشيا جولم وقد اغتبط القديس لعلمه بأن فى امكان كارن ان يسهر على سلامة الفتاة .
وعلم القديس اثناء الطريق أن كارن استأجر هذا الكوخ منذ ثلاثة شهور .
وفجأة قال الدكتور كارن :
— سيكون النضال شائقا لذيذا .. !
— ارجو ذلك .
— ويجب ان اصارحك بأنى لم اقابل مغامرا اشد منك جراة واثبت قلبا .. !
— اشكرك على هذا الاطراء . ولكننى لم ارتكب بعد الجريمة التى تعتقد انت اننى موشك على ارتكابها . فما عساك ان تقول عنى اذا بلغت الهدف الذى اصبو اليه . دون ان اقع تحت طائلة القانون .

وابتسم كارن وقال :
— انك نابغة يا تمبلار ولولا ذلك لكنت فى السجن منذ اعوام . فها انذا اعرف انك القديس ومع ذلك لا اجرؤ على القبض عليك لان الادلة تنقصنى . البرهان الوحيد الذى لدى هو اعترافك . ولكنك بكل اسف لم تعترف امام احد سواى !
وافترق الرجلان عند باب الدار .. دخل الشرطى السرى الى كوخه على حين قفل القديس راجعا الى حصنه . ولكنه لم يسر الا ريثما اطمأن الى ان الدكتور قد ايقن من ابتعاده ثم عاد ادراجه متجها الى قصر سيرجون بيتل .
كانت الساعة لم تتجاوز العاشرة بعد . وبدت الاضواء تتألق فى نوافذ الفيلا . ولم يغب عن القديس ان اهل الدار لم يناموا بعد وان من الحماقة ان يقترب من المكان متجسسا .
ولكن القديس لم يكن بالرجل الذى يتردد .
فى حرص وحذر اقترب من الفيلا وهو يسير على اطراف اصابعه حتى لا يصدر عنه صوت ينبه اهل الدار .
وكان هناك جدار مرتفع يحيط بالفيلا من جميع نواحيها ويلقى على المكان رهبة مريبة .. ورأى فى الجدار بابين احدهما فى الجهة الخلفية ويفضى منها الى الحديقة . وكان مستحيلا أن يقتضب القفل وهو لا يحمل الادوات الخاصة بتهشيم الاقفال .
الحل الوحيد اذن هو تسلق الجدار والوثوب الى الحديقة .
ونهض القديس على قدميه وبسط ذراعه الى الاعلى ولمس حافة الجدار . كان الجدار مزودا بقطع من الزجاج رشقت فيه لتحول دون الفضوليين والتطلع الى الداخل .
فكيف السبيل اذن الى تسلق جدار تعلوه هذه الزجاجات المكسورة الشبيهة بأسنة الحراب .. !
خلع القديس معطفه وطوحه فى الهواء حتى استقر فوق

حافة الجدار واشتبك بقطع الزجاج وغطاها . وفى وثبة
الفهد قفز القديس الى الأعلى وتعلق بحافة الجدار . فوق
المعطف الذى كان درعا وقاه اثر الزجاج فى يديه . وفى حركة
رياضية رشيقة جمع ساقيه ورفعهما فاذا به مستقر فوق
الجدار دون ان يلحقه اذى .

وعبر القديس الحديقة وهو يزحف على يديه وركبتيه فى
حرص وحذر خشية ان تكون هناك اسلاك للتنبيه . وتمهلا
اهتدى الى سلكين ممتدين على الارض اذا وطئهما المرء بقدميه
ارسلا فى ارجاء الدار رنين جرس كهربى . وتخطى القديس
السلكين وسار صوب الفيلا .

اقترب القديس من الفيلا . وارسل بصره الى الداخل من
خلال النافذة المضاءة فاذا هى نافذة قاعة المكتبة . ولمح سير
بيتر غارقا فى مقعد كبير وقد حسبه فى اول الامر وحده ولكنه
سمعه يقول :

ـ لقد كاشفتك بحقيقة الموقف يا ابنتى ، فلم يعد فى الامر
خفاء .

ولبث القديس جامدا فى مكانه يترقب الجواب .

ثم سمع صوتا نسائيا يعرفه يقول :

ـ هذا مستحيل .. !

وكان هذا صوت باتريشيا هولم .

ومال القديس قليلا الى ناحية النافذة ورأى باتريشيا
جالسة على مقعد آخر فى مواجهة بيتل . وكانت ممسكة
بمنديلها تديره فى يديها وقد بدا عليها الاضطراب والقلق .

وضحك بيتل .. ضحكة داوية عالية . ولكنها لم تخفف
من اثر ما يبدو فى ثنايا وجهه من الوحشية والقسوة .

واسترسل المليونير يقول :

ـ اذا كنت غير مقتنعة بحقيقة ما اقول فانا على استعداد

لان ازودك بوثائق وايصالات تبرهن لك على انى صدقتك
القول .

وابرز من جيبه رزمة من الاوراق وضعها فى حجر الفتاة
وهو يقول :

ـ لقد رضيت نفسى على الصبر طويلا . ولقد كاشفتك
منذ اللحظة الاولى ان قيمة الارض التى رهنتها عمتك لدى
اصبحت لا تساوى شيئا وانى امر على اقتضاء دينى منها .

وامسكت الفتاة بالوثائق وقالت :

ولكن ما الذى يدفعك الى اتخاذ هذه الاجراءات القاسية
ضد عمتى .. ان بضعة الوف من الجنيهات ليست بالنسبة
اليك ذات شأن .. !

فقال المليونير فى صوت هادىء :

ـ بل ان لها عندى لشأنا عظيما ما دامت تتيح لى أن
افرض شروطى ؟

ولبثت الفتاة صامتة برهة لا تنبس بكلمة ثم قالت فى صوت
خافت وقد شاب لهجتها الحزن والأسى :

ـ وما هى هذه الشروط ؟

فلوح سير بيتل بيده محتجا وقال :

ـ ارجوك أن لا تنظرى الى المسألة هذه النظرة المفجعة .!
ان الامر عادى جدا ولا داعى لهذا الأسى ..
نعم .. انى اكون سعيدا جدا اذا ارتضيتنى زوجا لك .!

ومرت لحظة والفتاة جامدة فى مكانها كالتمثال كأنما لم
تسمع حرفا مما قال لولا ان غاضت الدماء من وجهها .

وبعد لحظات رفعت يديها بالوثائق وغمغمت تقول :

ـ هاك جوابى .. !

ومزقت رزمة الوثائق والايصالات .

وقال القديس يخاطب نفسه :

ـ أحسنت صنعا يا فتاتي .

أما المليونير فقهقه ضاحكا وقال :

ـ يا للخسارة . ! انها صور ليس الا يا صديقتي . ! نعم .. صور منسوخة .. أحسبت انى من الغفلة بحيث أضع بين يديك الايصالات والوثائق الأصلية . ! لو انني كنت مغفلا الى هذا الحد لما استطعت أن أتغلب على خصومي في البورصات والأسواق .. لقد احتفظت بصبري وهدوئي طيلة الوقت يا فتاتي . ولكنك بفعلتك هذه استطعت أن تثيري أعصابي . ! أما الزواج مني وأما وفاء الدين في الحال . !

وقال القديس بصوت مرتفع مسموع :

- وأية ضرورة لهذا . ؟

وكان القديس قد تخطى حافة النافذة ودخل الى القاعة دون أن يشعر به رب الدار أو زائرته . ووقف برهة خلف الستار ثم أزاحه وبرز الى الغرفة وهو يردد جملته :

ـ وأية ضرورة لهذا . ؟

وصرخت الفتاة فزعا .. واجفل بيتل .. وامتقع لونه وابتسم القديس ابتسامة لطيفة وبداه في جيوبه .

وقال المليونير في صوت متهدج :

ـ مستر ..

فقاطعه القديس بقوله :

ـ مستر سيمون تيلار .. واني لسعيد بمعرفتك . وارجو أن لا أكون قد أزعجتك بدخولي .. !

وجعل القديس ينقل بصره بين الفتاة والمليونير .. وبدافع غريزي اقتربت الفتاة من القديس فمد هذا يده يصافحها .

وحاول بيتل أن يستعيد ثباته .. ووفق الى ذلك أخيرا وقال :

ـ انى أجهل يا مستر تيلار اننا كنا على موعد معك لزيارتي الليلة .. !

فقال القديس في بساطة :

ـ وأنا أيضا أجهل ذلك .. هذا غريب .. !

وسعل بيتل .. وكان الخوف ظاهرا على وجهه .. لقد وقع في روعه أن القديس قد سمع الحديث الذي دار بينه وبين الفتاة .

وقال بيتل وهو يزدرد ريقه :

ـ أستطيع أن أصارحك يا مستر تيلار بأن زيارتك وقعت في وقت غير مناسب .. !

فقطب القديس جبينه وقال :

ـ أتظن ذلك .. ! هذا شيء يؤسف له ..

واقترب المليونير من مائدة فوقها الزجاجات والأقداح وقال :

ـ ويسكي يا مستر تيلار ؟

ـ كلا وشكرا .. اني لا أحب أن أتناول خمرا منذ مات لا امرغيم ولي صديق اغتال هذه الحيلة تدفع ثمن هذا الاهمال غاليا اذ وجدت جثته في اليوم التالي طافية في أحد الأنهار .

فقال المليونير ملحا :

ـ أرجوك أن تتناول قدحا واحدا ليزول هذا الجفاء القائم بيننا .

ـ أشكرك .. انني لا أحب أن أموت الليلة .

واقترب المليونير من مكتبه وأطفأ سيجارته في المنفضة ثم قال :

ـ ان سلوكك يا سيدي ليس بسلوك الرجل المهذب ولهذا لا أرى أمامي مجالا للاختيار .

ودق جرسا موضوعا على المكتب .

وما هى الا لحظات حتى دخل خادم عملاق قاسى الوجه له هيئة الملاكمين القدماء فقال له المليونير :

ــ ارجوك ان ترشد مستر تمبلار الى الباب .

نهتف القديس :

ــ يالها من ضيـــافة .. !

وسار الى الباب فى اثر الخادم .

ولبث بيتل برهة امام مكتبه ثم قال وهو يتنفس الصعداء :

ــ يا له من فضولى ثقيل .. !

ولكن ارتياحه كان قصير الاجل .

سمع من الدهليز اصواتا مكتومة اعقبها انصفاق باب ... وفى اللحظة التالية دخل القديس من نفس النافذة على حين فتح الخادم باب الغرفة ودخل .. !

وقال القديس باسما :

ــ اخرجنى من الباب فجئت من النافذة .. !

اما الخادم فكان دامى الانف متورم العين . لقد حياه القديس قبل خروجه بلكمتين . وهم الخادم بالانقضاض عليه فقال هذا والابتسامة لا تزال ماثلة فى عينيه :

ــ اذا حاولت ان تمسنى هشمت اسنانك .. !

وتدخل بيتل بين الرجلين .. لم يكن لديه شك فى ان زائره الثقيل يستطيع ان يهزم خادمه بضربة واحدة قاضية .

واشار بيتل الى الخادم بالخروج . فغادر الغرفة اسفا .

وتحول المليونير الى القديس قائلا :

ــ اتحب ان تقدم لى ايضاحا عما فعلت .. ؟

ــ بـكل ارتياح .

ــ ان مزاحك شاذ بغيض الى نفسى .

ــ صدقت .. ولكن ما حيلتى وقد طبعت على هـذا منذ الصغر . انى دائما مولع بالمزاح الثقيل البغيض . ومع ذلك

فيمكنك ان تفترض اننى حضرت لاصحب مس هولم فى عودتها الى دارها .

واخذ بذراع الفتاة وسار بها صوب باب الشرفة المفضى الى الحديقة وحين بلغ الباب تحول الى المليونير قائلا :

ــ وعلى فكرة .. لقد كدت انسى ان الامر متعلق بايصالات ووثائق ورهنيـــة .

ولمـا التزم بيتل الصمت قال القديس مسترسلا :

ــ امد الى هذه الوثائق اعطك فى الحال شيكا بقيمة المبلغ المطلوب لك .

ــ انى ارفض .. !

ــ كمـا تشاء . ولكن لا تنس انى على علم بنصـوص القانون وانك مضطر الى استلام مبلغ دينك من اى شـخص يتبرع بالوفاء . وغدا سيتصل بك احد المحامين نيابة على ويقدم اليك المبلغ ويرغمك على شطب الرهنية .

وارتد القديس الى الباب ثانية . وكانت الفتاة فى انتظـاره على الدرج الصغير المفضى الى الحديقة .

وفجاة ارتفع من الحديقة نباح كلب غاضــب .. وارتمت باتريشيا على صدر القديس مذعورة .

ورجع القديس الى الغرفة واغلق باب الشرفة .

وفى هذه اللحظة فتح بيتل درجه واخرج مسدسه . ولكن القديس كان اسرع منه حركة .. استل خنجره المشدود الى ذراعه ووقف متأهبا للعمل .. !

الفصـــل الرابع

هز القديس راســه وقال فى صوت حزين :

ــ لا مخرج من هذه الورطة .. ! الكلب فى الحديقة يناهب

للانقضاض علينا .. وصاحب الكلب في القاعة يتأهب لاطلاق النار علينا .. ! فما العمل ..؟ ولكن خبرني يا بيتل .. الم تقل منذ لحظات انك لا تحب المواقف المتجهمة .. !

ثم ضحك واردف يقول :

والله انى لم ار حامل مسدس اعجب منك .. انكون مسلحا بمسدس ومع ذلك تقف على هذا النحو مرتبكا مضطربا ويدك متدلية الى جانبك لا تجرؤ على استعماله .. ! اسمع يا صديقى وخذها منى نصيحة خالصة .. سأمهلك شهرا تتعلم خلاله كيف تسدد المسدس الى صدر خصمك .. ! ان المسدسات لا تمسك بهذا الشكل . ارفع ذراعك واجعل الفوهة مصوبة الى صدرى لا الى الارض .. !

ومن عادة القديس اذا اسرف فى الحديث والتهكم ان يكون ذهنه منصرفا فى نفس الوقت الى التفكير فى مخرج من ورطة .. ولقد كان فى هذه اللحظة يفكر فى ذلك .

ها هو بيتل جامد مكانه وذراعه متدلية الى جانبه وفوهة المسدس مصوبة الى الارض .. وعلى قيد خطوات يقف القديس وخنجره بين اصابعه متأهبا للعمل وعيناه على مسدس بيتل .. فلو ان هذا تحرك حركة صغيرة لطار الخنجر فى الهواء واستقر فى يد بيتل قبل ان يمد هذا اصبعه الى الزناد . وما كان بيتل ليجهل براعة القديس فى اصابة الاهداف بالخناجر . فلم يشأ ان يخاطر .

واخيرا قال القديس :

— خبرنى يا بيتل .. ! هل انت دائما صموت لا تحب الكلام .. ؟

فقال بيتل وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مغتصبة :

— اسمح لى بسؤال .. ! لقد تخدرت يدى وتوشك ان تتصلب فهل سترمينى بخنجرك اذا انا حركتها قليلا .. ؟

— هذا يتوقف على نوع الحركة . فاذا رفعت يدك الى الاعلى مثلا طار الخنجر وقطع لك ابهاما .. اما اذا بسطت اصابعك وتركت المسدس يسقط على الارض فلن يصيبك اذى فاختر لك ما يحلو .. !

ورضخ بيتل امام هذا الانذار .. بسط اصابعه فسقط المسدس بدوى عند قدميه . وفى حركة سريعة خفيفة انحنى القديس والتقط المسدس ورده الى جيبه وفى نفس الوقت اعاد خنجره الى جرابه .

وقال القديس :

— الآن يمكننا أن نرتد اصدقاء كما كنا . ولكن اسمح لى ان الاحظ بانك خرقت قوانين اللعبة اذ المفروض ان يظل الخائن مستترا بالغموض حتى نهاية الفصل الاخير ولكنك بكل اسف كشفت نفسك ولما يبدأ الفصل الاول .

وقال سير جون بيتل فى صوت عادى :

— إنك رجل عجيب يا مستر تمبلار .. !

وابتسم القديس ابتسامة خفيفة ، وكانت هذه الابتسامة هى التى تحير بيتل وتربكه .. لم يكن يعجبه الا ما يرى من رباطة جأش هذا الرجل وصلابة اعصابه .

وتحول القديس الى باتريشيا وقال :

— ارجو أن لا تكون هذه الحوادث قد ازعجتك .. ؟ انك تريدين بلا ريب ان تعودى الى « القصر » .

فاحنت رأسها ايجابا .. فتحول القديس الى الميوتى وقال :

— انها تريد ان ترجع الى دارها .

فابتسم بيتل وقال :

— سيؤذن لها بالعودة عندما تصبح أصدقاء .. !

فقال القديس :

ـ اني موقن من أن لا دخل لمس هولم فى الامر وانها لم تحاول اغضابك مطلقا .

وجعل القديس يتأمل الفتاة ثم قال مخاطبا المليونير :

ـ انظر اليها .. انها تبدو متعبة منهوكة القوى .

وفتح بيتل صندوقا للسجائر موضوعا على مكتبه وتناول منه سيجارا كبيرا قضم قطعة من طرفه واشعله على مهل .. ثم رفع راسه وقال موجها الحديث الى القديس :

ـ ليس فى وسعى أن اسمح لمس هولم بالانصراف بهذه السرعة . ثمة أشياء كثيرة احب أن اباحثها فيها .. !

فقال القديس فى صوت رقيق :

ـ الا يمكن ارجاء هذه المباحثات الى يوم آخر ؟

ـ لا اظن ذلك .

تريث القديس برهة مفكرا .. وجعل يرمق سير جون بيتل بنظرة فاحصة ثم هز كتفيه واخرج من جيبه المسدس الذى كان بيتل متسلحا به وسار صوب باب الشرفة ففتحه واشار الى باتريشيا بان تتبعه وقال :

ـ الذنب ذنبك يا بيتل . ! غدا ستدفن كلابك .. !

فهز بيتل راسه وقال :

ـ لا اظن ذلك . ؟

ـ حقا . !

واسترسل بيتل يقول فى صوت هادىء :

ـ لو انك فحصت صندوق السجائر الموضوع على المكتب لرايت باطنه متحركا يكفى اقل ضغط لتحريكه الى اسفل فيدق فى الخارج جرس للانذار وقد دقت الجرس .

ـ وبعد . ؟

ـ وبعد فان فى الحديقة الان ثلاثة رجال فضلا عن الكلاب الاربعة وفى الدهليز رجلان . والجميع يترقبون خروجك ليقلوا

اليك بالتحية اللائقة ! فالكلب الوحيد الذى سيدفن غدا هو مخلوق تحولى اراد ان يتدخل فيما لا شأن له به .

فابتسم القديس وقال :

ـ حقا !

وجلس سير جون بيتل على مقعد كبير قريب من مكتبه وعلت شفتيه ابتسامة وحشية .

ووقف القديس صامتا لا يتكلم .. واقتربت منه باتريشيا ولمست ذراعه فضغط يدها فى رفق مشجعا .

ثم قال :

ـ لماذا لا تتابع تهديداتك وانذاراتك يا عزيزى بيتل ؟! لنفرض اننى اثناء غضبى سددت هذا المسدس الى راسك واطلقت النار فهلا تعتبره حادثا اليما . ؟

فقال المليونير متالما :

ـ نعم . انه حادث اليم .. بالنسبة اليك انت .. ! ان اهل بيكوسب يرتابون فى « الغريب الغامض » ! فاذا ما سمعوا دوى الرصاص شهدوا على الفور ضدك حتى وان لم يروك . !

فرد القديس المسدس الى جيبه وقال :

ـ كلام معقول . ولكن هبنى استعملت خنجرى بدلا من مسدسى .. ! ان فى وسعى أن اصم اذنا وابتر اصبعا بسهولة تامة فهل يشرك هذا . ؟ لن يقف القوم فى الطريق لكى يتاملوا يدك او وجهك .

فقال بيتل مجيبا دون أن تاخذه غاشية من الخوف :

ـ انى لست وحدى فى الدار .. وفى وسع خدمى أن يثاروا لى .

ـ للمرة الثانية اقول أن هذا الكلام معقول . اذن ساكل اليك الامر تتصرف فيه كما تشاء .

ومرت فترة من السكوت .

واخيرا قال بيتل :

— انى لكون سعيدا يا مستر تمبلار لو تفضلت بقضاء يوم او يومين فى ضيافتى . وسنتداول فى خلال ذلك فيما ينبغى أن تفعله لتبرر لى اسفك ازاء اقتحامك منزلى فى هذا المساء وساصحب مس هولم الى دار عمتها بمجرد فراغنا من المباحثة التى قطعتها انت علينا بدخولك .

فغمغم القديس قائلا :

— انك شديد التفاؤل يا صاح . !

— ان الرفض لن يجديك يا مستر تمبلار . ! ان غرفتك قد اعدت فعلا . !

— لا تحاول ان تغرينى بالبقاء اذ ليس فى وسعى ان البى هذه الدعوة لو لم تكن باتريشيا موجودة هنا لقبلت هذه الدعوة بكل ارتياح ولكننى وعدت عمتها بان ارافقها حتى باب الدار ومس جيرتون فى انتظارنا الآن ولست احب ان اخل بوعدى .

فقال بيتل فى الحاح :

— ستحلك مس هولم من هذا الوعد .

فقال القديس :

— كلا .. اشكرك . !

قطب بيتل جبينه ولبث صامتا . بينما اخذ القديس يتجول فى ارجاء الغرفة وهو يتأمل ما فيها من تحف وصور واثاث جميل .

وقال سير جون بيتل :

— فى جدران هذه القاعة ثقبان للمراقبة . فكل حركة من حركاتك ملحوظة من الخارج .

فابتسم القديس وقال :

— مما يؤسف له انك لم تعهد الى احد المصورين بان يلتقط لى فيلما سينمائيا . !

ظل القديس يدور فى ارجاء القاعة وهو يبحث عن ثقبى المراقبة .. وقد اهتدى الى احدهما .. وكان بيتل فى خلال ذلك جامدا فى مكانه لا يبالى ولا يتابع حركات القديس .. كان مثالا لرباطة الجاش والاستخفاف ولم يملك القديس نفسه من الاعجاب به .

ووقف القديس مستندا الى منضدة تقع خلف المقعد الذى يجلس عليه بيتل . وامسك بيده تمثالا صغيرا من المعدن جعل يقلبه بين يديه ويتأمله .

ثم قال فجأة :

— يظهر يا عزيزتى بيتل ان لا سبيل لى الى مغادرة هذا المكان ؟

— اظن ذلك .

— ايه .. فليكن . لقد قبلت ان انزل ضيفا عليك .

واشار الى باب الشرفة .. بركن عينه . وفهمت باتريشيا معنى هذه الاشارة .

واستولى القلق على بيتل .. ها هو القديس واقف خلفه .. فلماذا ؟

وادار بيتل راسه .

وفى هذه اللحظة تحركت يد القديس الممسكة بالتمثال وضرب بيتل على مؤخر عنقه ضربة محكمة وان لم تكن قوية .. ولكنها كانت كافية لكى تفقده الرشد . وفى نفس اللحظة كانت يده الاخرى قد اطفأت نور القاعة .

ووثب القديس الى باب الشرفة وتحسس الفتاه فى الظلام فاهتدى اليها وامسك بيدها .

وتعالت الصيحات من الحديقة ومن الدهليز .. وفتح باب

الدهليز وبرز على عتبته رجلان يحملان مصباحا كهربيا
ولكن القديس وباتريشيا لم يكونا في هذه اللحظة في دائرة النور . لقد حملها القديس حملا وقفز بها الى الحديقة كأنها طفلة صغيرة .

ولكن المعركة لم تقف عند هذا الحد .. انطلق أعداؤه في اثره وهم يتصايحون .. وكان القديس يتقدمهم بعشرين خطوة على الأقل وأسرع القديس صوب الجدار . فأنزل الفتاة عن عاتقه وهمس في أذنها يقول :

— اننا بجوار سياج الحديقة وسأساعدك على تسلقه لتعودي الى دارك . واكتمي الامر عن عمك كتمانا تاما . واذا لم أعد بعد ساعة فاخطري كارن بما حدث . ولكن اياك أن تخطريه الا بعد انقضاء ساعة كاملة .

— اذن فلن ترافقني ؟

— كلا .. لم أفرغ من عملي بعد . ؟

ودفعها الى ناحية الجدار . وتكسرت الاغصان في طريقها فتصايح الحراس وقد عرفوا مقرها فهتف بها القديس :

— اسرعي . ! واحذري قطع الزجاج .. تعلقي بمعطفي فهو منشور فوق الزجاج .

— لست أريد أن أدعك هنا . ؟

— قلت لك اسرعي .. والا هلكنا . !

ورفعها حتى بلغت حافة الجدار فتعلقت به وربضت فوقه ثم وثبت الى الناحية الاخرى .

أما القديس فابتعد عن الجدار مسرعا وجعل يصيح فسمعه خصومه فانطلقوا في اثره . وكان يرمي بذلك الى تضليلهم حتى يصرفهم عن متابعة الفتاة ويشغلهم بأمره .

واستمرت المطاردة طويلا . القديس يجري من مكان الى مكان .. والرجال يطاردونه ويتصايحون .

وفجأة أضاء نور القاعة وبرز بيتل على رأس الدرج وصاح في رجاله :

— لا تحدثوا ضجة أيها الاغبياء كفى مطاردة .. ؟ تعالوا جميعا .. !

وهدأت الضجة .. ومضى الرجال الى القاعة .

وقال القديس لنفسه :

— الآن يجب أن أعود الى داري . وسأرجيء الأمر الى الغد .

وسار الى باب الحديقة .. أزاح المزلاج الضخم الموضوع خلف الباب وفتحه .

ثم هم بالخروج .

على أنه ما تخطى العتبة باحدى قدميه حتى رأى فوهة مسدس مصوبة الى رأسه .

كان هناك رجل خارج الباب .. في انتظاره .

وقال صاحب المسدس :

— دعني أرحب بك يا مستر تمبلار .. !

وقرض القديس على أسنانه وقال مغمغما :

— تبا لك .. !

ورفع ذراعيه فوق رأسه .. !

الفصل الخامس

تخطت باتريشيا حولم السياج واتجهت بسرعة الى الطريق الذي يفضي الى « القصر » كانت تجري ملء سرعتها تنشد النجاة .. وكانت تتردد في أذنها صيحات القديس

وهو يحاول ان يشغل المطاردين عنها ويصرفهم الى جهة غير التى سارت فيها .. وكانت تجد فى هذه الصيحات مشجعا لها على المثابرة ومتابعة الفرار .

وحين هدأت الأصوات وتباعدت خففت الفتاة من سرعتها وراحت تفكر فى هذه الحوادث العجيبة التى جمعت بينها وبين « تمبلار » (اذ لم تكن تعرف انه القديس) .. فجأة يدخل الى القاعة من باب الشرفة .. وفجأة يخف الى نجدتها وهو يعلم انه مستهدف لأشد الأخطار .

ونظرت فى ساعة يدها .. انها الآن الحادية عشرة الا خمس دقائق .. بعد ساعة اخطرى كارن بما حدث .. بعد ساعة .. اى فى الثانية عشرة الا عشر دقائق .. ! اما قبل ذلك فلا .. !

ثم تذكرت الكلاب ونباحها الوحشى .. ! وسرت فى بدنها رعدة شاملة .. !

ولم يكن لديها شك فى ان منزل سيرجون بيتل مجمع لأسرار رهيبة .. هذه الجدران العالية التى تكتنفه .. هذا الظلام الذى يسود اركانه .. هذه الكلاب الوحشية التى اخذت تشح فى الظلام متأهبة للوثوب على فرائسها .. كل هذا يلقى على الدار ظلا من الرهبة والفزع .. !

على ان هناك شيئا اعياها التفكير فيه لقد جاء تمبلار فجأة وتدخل فى الامر بينها وبين بيتل .. وكان تدخله عنيفا .. وكذلك واجهه بيتل فى عنف وشدة .. ولم يكن هناك ما يدعو الى الالتجاء الى هذا العنف .. ثم اراد بيتل ان يحجز تمبلار لديه ويرغمه على قضاء يومين فى الدار فلماذا ؟! اهناك علاقة سابقة بين الرجلين .. ؟ اهناك عداوة قديمة لا تعرف عنها هى شيئا .. ؟

حاولت الفتاة ان تقع على غرض معقول فلم توفق ..

فى هذه اللحظة بالذات .. ؟ ما الذى حمله على ان يتخطى سياج الحديقة ويقترب من المسكن ويقف عند النافذة ويختلس السمع .. ! ان المرء لا يمكن ان يقدم على مثل هذا التجسس عفوا .. لابد ان يكون هناك سبب كامن .. !

وطاف بذهنها خاطر فجائى : ترى هل ثار تمبلار غضبا لأن المليونير تجاسر وطلب اليها الاقتران به .. ؟ هذا فرض غير معقول .. ان معرفتها بتمبلار محدودة جدا .. لم يمض عليها يومان فكيف يغضبه ان يتقدم اليها احد بطلب الزواج .. حتى ولو كان زواجا يحمل فى طياته القسر والاكراه .. !

وجون بيتل الذى يعد من اثرياء القرية وكبار اعيانها لابد ان يكون مجرما .. ! او ان داره على الاقل مأوى للمجرمين فقد رأت فيها عشرات منهم . وكلهم مسلحون بالمسدسات وهذا الزر الخفى الموضوع فى صندوق السجاير ! والثقبان اللذان جعلا فى الجدار للمراقبة ؟ كل هذه احتياطات لا يقدم عليها بيتل الا اذا كانت له من ورائها غاية مبيتة .. ! لا شك انه يقوم بأعمال سرية غامضة تقع تحت طائلة القانون .

واعياها التفكير فرأت أن تدع الامر جانبا ولا ترهق نفسها بالبحث عما لا تفهم ! لقد انحاز اليها تمبلار وان لها فيه لثقة عمياء .. وكيف لا تثق به وقد انقذها من هذه الاخطار التى كانت تتهددها بجرأة عجيبة تدل على رباطة الجأش وحضور الذهن .

ومهما يكن من الامر فلا مفر لها من الانتظار .. لقد

تخلف عنها نبلار ليواجه الخصوم مرة أخرى .. فلتنتظر اذن حتى منتصف الليل قبل أن تقع على تعليل معقول لكل ما حدث .

وانفرجت الفتاة من « القصر » وتمنت لو استطاعت أن تأوى الى غرفتها دون أن تراها عمتها حتى لا ترهقها بالاسئلة وما من شك فى أن عمتها ستتعجب اذ ترى ثيابها المتسخة وقد تمزقت اذ اشتبكت بالأغصان وقطع الزجاج الثابتة الى حافة الجدار .

سارت الفتاة الى البيت فى حذر فى خطوات مختلسة ولكنها ما كادت تجتاز عتبة الحديقة حتى رأت عمتها رابضة الى جوار السور .

وقالت العمة :

— من هناك ؟ باتريشيا !

فأجابت الفتاة :

— نعم .. انني باتريشيا .

فعادت العمة تقول :

— لقد سمعت جلبة شديدة قلبت شعرى من اى مكان صدرت . أ أتعرفين . ؟

— هناك شيء من الضوضاء .

وصمتت الفتاة عند هذا ولم تشأ ان تزيدها ايضاحا . ألم يوصها نبلار بأن تكتم الأمر عن عمتها .

وتطلعت العمة الى ثياب ابنة اخيها الممزقة وقالت فى صوت شديد النبرات :

— ضوضاء . ! يلوح لى انك اشتركت فيها اشتراكا فعليا . !

فقالت الفتاة فى انفعال :

— ليس فى وسعى ان أزيدك الآن ايضاحا فدعينى أستريح واسترد أنفاسى .

ومضت الى قاعة الاستقبال وتهالكت على أحد المقاعد وعلى مقربة منها جلست عمتها تجيل فيها البصر وتفحصها . كأنما تنتظر جوابا على سؤالها السابق .

وقالت العمة بعد قليل :

— لو أن بيتل هو الذى أساء اليك . . .

فقاطعتها الفتاة بقولها :

— كلا . . ليس بيتل . . ! أرجوك أن تتركيني قليلا .

كانت امارات القلق مرتسمة على وجه العمة ولكن حسبي عرفت أن الأمر ليس كما توهمت وأن ليس لبيتل شأن فى الموضوع تبدد القلق وبدت فى ثناياها الحيرة . وتظاهرت بقلة الاكتراث على غير ما هو معهود فى النساء . فهزت كتفيها وأخرجت من جيبها علبة تناولت منها سيجارة أشعلتها وأخذت تدخن بشدة كما يدخن الرجال وكانت أصابعها صفراء من أثر النيكوتين .

وفى خلال ذلك كانت باتريشيا تحاول أن تقع على تعليل مقبول تفسر به ما أصاب ثيابها من تمزق وما حل بهندامها من فساد . ولم تكن تجهل أن مس جيرتون تصلح أن تكون قاضيا للتحقيق وأن فى وسعها اذا ألحت أن تنتزع منها الحقيقة مهما حاولت الفتاة أن تخفيها وتكتمها . ولكنها كانت معولة — مهما تقاضاها الأمر — على أن تكتم الأمر عن عمتها حتى لا تفسد خطة نبلار :

وبعد جهد غير قليل واجهاد للذهن قالت :

— على هذا النحو وقعت الأمور . . جاءتنى رقعة من بيتل بعد ظهر اليوم يدعونى فيها الى مقابلته عقب العشاء دون أن أخبر أحدا بهذه الزيارة وزعم فى رسالته انه يريد أن يحدثنى فى

وثمة مسألة اخرى .. ما الذي جاء بتمبلار الى النبلا
امر خطير .. وقد ذهبت .. وقد تردد سير جون طويلا قبل
ان يكاشفني بانه اقرضك مبلغا جسيما مقابل رهنك القصر
له . وقد حدثت ظروف تحطه وهو شديد الاسف على ان يطالب
بوفاء هذا الدين على عجل . فهل هذا صحيح ؟
فاجابت مس جيرتون في جفاء :
ــ نعم .. هــذا صحيح !
واغتنمت باتريشيا هذه الفرصة لتعكس الموقف فبدلا من ان
تكون في موضع المتهمة المسئولة دفعت بعمتها الى هذا الموقف
وراحت تقول لها :
ــ ولكن لماذا فعلت هذا .. ؟ لماذا اقترضت .. ؟ لقد
كنت اظن دائما ان الثروة التي خلفها ابي لازالت سليمة
بين يديك !
فهزت مس جيرتون كتفيها وقالت :
ــ ابنتي العزيزة .. ان هذه الثروة لم تعد الا ذكرى .. !
ونظرت الفتاة الى عمتها في دهشة .. واستطردت هــذه
تقــول :
ــ منذ عشر سنوات وانا فريسة شخص يبتز مني المــال
بتهديدي بالفضيحة والعــار .
ــ ومن هــذا الشخص .. ؟
ــ هذا لا يعنيك .. ! ولكن استمري في حكايتك .
فنهضت باتريشيا واقفة وقالت في صوت غاضب :
ــ وما فائدة الاستمرار .. ؟ اولى بك انت ان تصارحيني
بما فعلت بهذه الثروة التي وضعت امانة بين يديك .. منــذ
ست ســنوات .. ؟ ومنذ ثلاث ســنوات عقب عودتي الى
بيكومب ؟ اذن ففي هذا تفسير رحلاتك المتواصلة في الخارج .؟
اذن فهذا هو سر الحاحك في ان اظل ملتحقة بالجامعة .؟ الم
تكوني في امريكا منذ سبعة اعوام .. ؟ اني اذكر ان ...

ولكن مس جيرتون قاطعتها بان صاحت قائلة :
ــ كفى ... !
ــ اتظنين ذلك .. ؟
ولم تندم باتريشيا على غضبتها .. لو ان عمتها ابدت ندما
واعتذرت اليها عما فعلت وعن تبديدها هــذه الثروة للزمت
الفتاة الصمت ولما اخذتها بكلمة واحدة .. ولكن ها هي العمة
تبدو متعنتة ساخطة .. بددت ثروة الفتاة ومع ذلك لا زالت
على صلفها تابى ان تعتذر بكلمة واحدة .. !
وقبل ان تمضي باتريشيا في ثورتها .. قبل ان ترمي عمتها
باشد الكلمات واقساها طرق باب الدار فخفت مس جيرتون
لتستقبل القــادم .
وسمعت باتريشيا صوت الجي وهو يتكلم في اضطراب ..
وبعد لحظات دخل هــذا الشاب .
وحين راى الفتاة هتف يقول :
ــ اهــذه انت .. ؟
كانما لم يكن يصــدق عينيه :
ــ ولــكن خبريني ماذا جرى .. ؟ اذهبت تبحثين عن
اعشاش العصافير بين الاغصان حتى تمزق فستانك على هذا
النحــو ؟
فضحكت باتريشيا وقالت :
ــ هو ذاك .. !
وساءها انها ستجد نفسها مضطرة الى ان تقدم ايضــاحا
جديدا الى هذا القادم الجديد . كانما لم يكفهــا ما لقيت من
عمتها من عنت الاستجواب .
وقال الجي مستطردا :
ــ وهل عثرت على اعشــاش كثيرة .. ؟ ومــاذا فعلته
بالبيض ؟

فلم تجب على سؤاله وانما قالت :

— ولاية غاية جئت فى هذه الساعة المتأخرة ؟

— الم يبلغك الخبر اذن .. !

وخفق قلب الفتاة وخشيت ان يكون قد لحق شر بتمبلار، وقالت :

— كلا .. انى لا اعلم شيئا .

فاسترسل الفتى قائلا :

— كان ينبغى أن أحدثك بالامر بمجرد دخولى . انك تعلمين أن مسكنى مجاور لمسكن بيتل . ولقد وقعت عنده أشياء غريبة عجيبة . ! نعم .. كان هناك اشخاص يجرون فى ارجاء الحديقة ويصرخون . وكانت كلابه تنبح بشدة وقد رأيت ان أحضر اليك على عجل لانبئك بالامر فقد يطيب لك أن ترافقينى لتتفرجى على هذا المشهد الفريد . وها انذا أجدك فى ثوب يدل على انك اشتركت فى هذا المشهد اشتراكا فعليا . شىء عجيب . غريب جدا . !

واخذ يضحك فى بلاهة على الرغم من جمود المرأتين والتزامهما الصمت واشعلت مس جيرتون سيجارة اخرى دون أن تلقى نظرة واحدة على الشاب . أما بالريشيا فاغتبطت بقدوم الشاب .. نعم انه أبله . سماذج واى تعليل قليل بلى يرضيه ويقنعه . وفضلا عن هذا فقد تجد فيه حليفا نافعا فقالت تخاطبه :

— اجلس يا الجى . ! وارجوك أن لا تحدجنى بهذه النظرات الفاحصة فانى لم أستهدف لاى خطر .

وتهالك الشاب على احدى المقاعد على حين اخذت الفتاة تنظر فى ساعتها .. انها الان الحادية عشرة والثلث .. لا تزال هناك نصف ساعة على الموعد الذى يجب أن تخطر فيه كارن بما حدث .

وهنا طاف بذهنها سؤال نجائى : ولماذا كارن دون الناس جميعا ؟.

وقال الجى قاطعا عليها خواطرها :

— على جدا .. ان هذا يذكرنى بحياة ملك التجارة .. الم اذكرها لك من قبل . ؟

— كلا .. ماذا تعنى ؟

— انى أعتقد انك زرت بيلا بيتل الليلة ؟

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

— كلا .. لقد خرجت الليلة أتمشى على مقربة من البحر . وقد ساقتنى قدماى الى الجرف فجعلت اتجول بين الصخور . ولشدة الظلام أخطأت الطريق فزلت قدمى وسقطت فاشتبكت ثيابى بالصخور والشجيرات والعلب وتمزقت .. ولقد نجوت من الهلاك بصعوبة .

وتحرك الجى قليلا فى مقعده ثم قال :

— كيف هذا .. ؟ الم تقاطنى اذن ضد مجنون اراد ان يتزوج بك قسرا عنك .. ! ان هيئتك كما قلت لك تذكرنى بحكاية ملك التجار الذى اراد ان يقترن بفتاة بالرغم منها فانت .

— كلا لم يحدث شىء من هذا مطلقا .

فغمغم الجى يقول :

— اذن فقد توهمت أشياء لا وجود لها . واظن انه يحسن الان أن انسحب واعود الى دارى .

ولكنها اخذت بذراعه وقالت :

— كن عاقلا رزينا .. ! ترى هل ازعجت الضجة عمك . ؟

— عمى .. ؟ كلا .. انه رجل متزن الاعصاب شديد الرزانة .. وعندما سمع هذه الضجة لم يزد على ان ابتسم وجرع قدحا من الويسكى وهو يقول ان هذه الجلبة قد ذكرته بحرب البوير .. !

ولم يكن قد خطر ببال الفتاة ان الضجة الناجمة عن المطاردة يمكن ان تمتد وتتعالى الى هذا الحد الذى بلغ اطراف القرية واخذت تسائل نفسها عما اذا كان القاضى لاينج والموظفان اللذان يسكنان على كثب قد سمعوا شيئا ايضا .. ؟ ومهما يكن من الامر فقد ازداد مركز نيلار حرجا اذ يكفى ان يدلى الجى وعمه بشهادتهما ليؤخذ المسكين الى السجن بتهمة اقتحام مسكن خاص دون اذن من صاحبه .

وكانت مس جيرتون فى خلال هذا الحديث منهمكة فى التدخين فنحت سيجارتها لحظة عن شفتيها وقالت :

ــ وبالاختصار ما الذى جرى . ؟

وقال الجى يجيبها فى شىء من التحفظ :

ــ ضجة . ! جلبة شديدة . ! نعم .. جلبة شديدة .. لا شك ان سير جون كان قد اقام حفلة فى داره فصخب المدعوون وضجوا .

وصاحت مس جيرتون :

ــ كفى سخافات .. !

ولاح عليها انها فقدت رباطة جأشها واتزان اعصابها . ولاحظت باتريشيا ان يدها كانت ترتعد .

فقال الجى وهو يتناهض للقيام :

ــ اسمحى لى بالانصراف يا عمتى اجثا .

فصاحت فيه حانقة :

ــ منذ متى اصبحت عمة لك . ؟

ــ عفوا .. مس جيرتون . ! ؟

وابتسمت باتريشيا حين رأت ارتباك الشاب الساذج وما بدا من حيرته .

ومد يده الى مس جيرتون يصافحها ولكنها اشاحت بوجهها واولته ظهرها .

وغادر الجى القاعة . وبعد لحظات سمعت المرأتان الباب وهو يصفق بشدة . فقد كان من دأب الجى ان يغلقه فى عنف كلما انصرف .

وقالت باتريشيا عاتبة :

ــ لقد قسوت عليه يا عمتى . !

فقالت مس جيرتون فى اقتضاب :

ــ انه شاب ابله سخيف .. وانى احمد الله على ان الاكذوبة التى رويتها له قد جازت عليه . والا لعرف اهل القرية جميعا فى الغد ما حدث الليلة .. والان كاشفينى بحقيقة ما جرى . ؟

وارسلت باتريشيا بصرها الى ساعتها .. الحادية عشرة والنصف .. الم يحن الوقت بعد للافضاء بالحقيقة .

ورفعت رأسها وقالت :

ــ ما رويته هو عين الحقيقة .

ــ انى لا انخدع بسهولة . !

واقتربت مس جيرتون من الفتاة وحدجتها بنظرة فاحصة ولاحت فى هذه اللحظة منذرة متوعدة ..

واحست باتريشيا بشىء من الانزعاج .

وقالت العمة فى صوت صارم النبرات :

ــ ما الذى جرى عند بيتل . ؟

ــ شىء لا اهمية له .. طلب الى ان اتزوجه لانقذك .

فصاحت مس جيرتون :

ــ اطلب اليك ذلك ؟ . يا للنذل . !

ــ اوه .. ولكن ما الداعى لهذا الغضب يا عمتى . !

ــ دعينى اتنفس عن صدرى .. نعم .. انه نذل جبان .. ؟ وبماذا اجبته . ؟

ــ لقد .. الحق انى لا ادرى . !

— اذن فقد تهجم عليك الوغد .. أليس كذلك .. ؟

— كلا .. الواقع انه ..

فقاطعتها عمتها وهي تشير الى ثيابها الممزقة قائلة :

— اذن ما هـذا .. ؟

وصاحت في غضب : باتريشيا ..

— كفى . ! لا توجهي الى سؤالا واحدا .. وانما دعيني انا اسألك كيف بددت اموالي . لا تقل : اقترضت . ؟ ولماذا . ؟

فقالت اجفا تجيبها :

— منذ ما هبط بيتل هذه القرية نبذه سراتها واعيانها فجاء الي يسألني ان اساعده على الاندماج في هذه البيئة وكان يعرف انى مرتبكة من الوجهة المالية (ولست ادرى كيف اتصل به هذا) فعرض على قرضا لم اتردد في قبوله .. وهكذا بدأت ادعوه الى منزلي واقدمه الى اصدقائي واخذ هو بنفسه يقرضني كل ما احتاج اليه .

— ولكن كيف لم يخطر ببالك يوما ان تكاشفيني بما عملت .. ! لعلك تجهلين ان الثروة ثروتي . !

— وما الذى يمكن ان اجنيه او تجنيه انت من اخطارك ؟.

— اليس لديك دفاع آخر . ؟

— كلا ..

— اذن دعيني اسألك عما تنوين عمله .

واشعلت اجفا سيجارة جديدة بيد مرتعدة وقالت :

— سأعرف كيف اتدبر الامر ! .

ونطقت اجفا هذه الجملة في نبرة قاسية صارمة بعثت رعدة في اوصال باتريشيا هولم .

ونهضت باتريشيا واقفة .. لم تشأ ان تواجه نظرات عمتها النافذة .. كانت تخشى أن تنفذ هذه النظرات الى اعماق نفسها تكتشف منها سترها .. ولم يكن في وسعها

ان تنطق بكلمة واحدة خشية ان تفسد خطة تمبلار .

ونظرت في ساعتها .. لا يزال باقيا على الموعد المحدد ربع ساعة .. !

وقالت مس جيرتون :

— ما بالك .. ؟ ولماذا لا تنفكين تنظرين الى الساعة ؟

— لاعرف الوقت .. !

الا ليت تمبلار كان حاضرا .. لو انه سمع هذا الجواب لضحك ابتهاجا . انه من نوع اجوبته حين يحب ان يسخر من خصومه .. لماذا تنظرين في الساعة .. ؟ لاعرف الوقت .. ! يا له من جواب مثير للغيظ .. ؟

وقالت مس جيرتون في الحاح :

— ما الذى يزعجك .. ؟

فاجابت باتريشيا تتحداها :

— انى لا احب ان يستجوبني احد .. !

وكان صبرها قد نفد .. ولم تعد تطيق سؤالا جديدا ف التفتت الى مس جيرتون وقالت :

— اسعدت مساء .. الى اللقاء غدا .. ؟

وغادرت الغرفة .

صعدت الى مخدعها واقتربت من النافذة تطل على الخارج .. وكانت من مكانها تستطيع أن ترى كوخ الدكتور كارن .. كانت نوافذه لا تزال مضيئة ينبعث منها النور .. اذن فالدكتور لا يزال مستيقظا .

عليها أن تمضي الى لقائه كما اخطرها تمبلار .. على أن لا تعلم عمتها بالأمر .

وفي سكون وحذر خرجت الفتاة من غرفتها وهبطت الدرج على اطراف اصابعها .. كانت عمتها لا تزال جالسة في قاعة الاستقبال .

ولمحت باتريشيا الباب وبعد لحظـــات كانت فى الطريق المظـلم .

سارت الى مسكن كارن وطرقت الباب .

وفتح الباب وبدا الدكتور على العتبة فما ان رأى الفتاة حتى هتف يقول :

ــ مس هولم .. !

ــ ارجو الا اكون قد ازعجتك .. لقد شعرت بقلق وانزعاج فلم أر مفرا من ان ازورك لاستشيرك فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ــ هذا شرف عظيم .. ولكنى وحدى فى البيت قبل ..

فابتسمت باتريشيا وقالت :

ــ الطبيب موضع للثقة . وزيارته ممكنة فى أية ساعة من ساعات الليل او النهار .

ــ اذن تفضلى بالدخول .

دخلت باتريشيا الى قاعة المكتب ورأت على المكتب كثيرا من الاوراق والبطاقات دفعها الطبيب الى احد الادراج وهو يقول :

ــ انى مولع بالأبحاث الطبيعية ودراسة الحشرات .

وجلست باتريشيا وقبل أن تملك زمام نفسها وجدت انها بادرته بالسؤال عن رأيه فى سيمون تمبلار .

وقال الطبيب :

ــ سيمون . انه شاب ظريف يثير الاهتمام اينما حل .. ولكن الواقع انه يستحيل على ان ابدى فى شأنه رأيا اذ لم اقابله الا مرة واحدة اليوم فقط .. انه شاب موفور الذكاء .

وغير كارن مجرى الحديث بأن قال :

ــ هل لك فى تناول قدح من الشـاى ؟

ــ كلا .. وشكرا .

واردفت بقولها :

ــ أتعتقد ان مستر تمبلار مستهدف لأى خطر من اى نوع كان ؟

ورماها الدكتور بنظرة فاحصة ادهشتها وقال :

ــ لماذا توجهين الى هذا السؤال يا مس هولم ؟

فكان جوابهـا :

ــ انه لا يتحدث الا عن الاخطار يستهدف لها .

ــ هذا صحيح .. ولكن اسمحى لى بان اسألك اولا عما اذا كان مستر تمبلار صديقا لك .. ؟

ــ لم اتعرف به الا منذ وقت وجيز ولـكن امره يهمنى كثيـرا .

فقال كارن فى غير تردد :

ــ ايكون تطفلا منى لو انى سألتك عما اذا كنت تحبينـه ؟

فتخضب وجهها احمرارا واشاحت ببصرها . فقال كارن فى لهجة رقيقـة :

ــ فهمت .. اعلمى اذن ان فى وسعك ان تسدى اليه منة كبرى اذا استخدمت نفوذك لانقاذه من ورطته وحماقاته .

ــ اذن فهو مستهدف للخطر ؟

سكت كارن برهة ثم قال :

ــ والذنب فى ذلك ذنبه .. ! انه هو الذى يقذف بنفسه الى المهالك انه يقحم نفسه فى لعبة خطرة جدا .. وليس فى وسعى ان ادلى اليك بمعلومات تفصيلية فارجعى اليه ان شئت فقد يشبع فضولك .

وللمرة العشرين نظرت مس هولم فى ساعتها .

لا يزال على الموعد ست دقائق .. !

الفصل السادس

غمغم القديس يقول :

— ها نحن قد اجتمعنا مرة اخرى يا سير جون .. ! وعلى فكرة كيف حال عنقك الان . ؟ ارجو ان لا تكون الضربة قد آلمتك كثيرا . ؟

وقال بيتل وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة قاسية :

— من حسن الحظ ان هذه الضربة لم تقتلنى . ! ولكن الشيء الذي يدهشنى ان تعمد الى هذه الطريقة الهمجية فى مهاجمة خصومك وعهدي بك مجددا للابتكار .

ثم ضحك واردف يقول :

— ومع ذلك فان لدي طرقا عجيبة لتعذيب خصومى لا تقاس ضربة العنق بها . ! وساكشفها لك فى الوقت المناسب .

فافرك القديس كفيه ابتهاجا وهو يقول :

— يسرنى ان اسمع منك ذلك فانى احب الاطلاع . !

وتحول يبحث عن الرجل الذى كان فى انتظاره عند باب الحديقة فلما رآه ابتسم كانه يحيى صديقا قديما وقال :

— هذا هو صديقنا العزيز بلوم . ! ترى اى نوع من الضربات تفضل يا عزيزى بلوم . ؟ ضربة العنق كصاحبنا جون بيتل ام ضربة الفك . ؟ انى احب دائما ان ارضى عملائى وان اقدم اليهم الضربات التى يؤثرون . ! فاختر ما يحلو وستجد اسعارنا بخسة ضئيلة !

فقال بلوم فى خشونة وجفاء :

— كفى يا مستر تمبلار . ! لقد تحدثت حتى الان بما فيه الكفاية فيجب ان تلوذ بالصمت والا قطعت لسانك . !

— الوذ بالصمت . ؟ كيف هذا وانا لم اكد ابدا . ؟ انى انوى يا مستر بلوم ان اروى لك قصة طريفة من قصصى

المعروفة . قصة رجل يدعى فرناندو خان اصدقاءه وقد عثرت عليه مصابا بطعنة خنجر او طعنات خناجر بعبارة اخرى . !

ولم يتحرك احد من الحاضرين . ولم تختلج عضلة فى وجه واحد منهم وقال بلوم :

— انه يعرف اشياء كثيرة . ! يعرف اكثر مما ينبغى فلا ينبغى ان يغادر هذا المكان حيا . !

واسترسل القديس يقول فى هدوء :

— مسكين فرناندو . ! كان يلفظ النفس الاخير . ولكنه مع ذلك استجمع ما بقى من قواه لكى يلعن الثمرة اللعينة الاخيرة .. ولقد سمعته يقول : بيكومب فى انجلترا . المنزل القديم . وكان هذا كل ما سمعت . عبارة قصيرة ولكننى فهمت منها اشياء كثيرة .. ولكننى لم اوفق بعد الى الهدف المنشود .. المنزل القديم . ؟ ان فى بيكومب منازل كثيرة قديمة فايها يقصد يا ترى . ؟ تلك هى المشكلة . !

ورفع بلوم مسدسه وسدده الى القديس .. وتحركت اصبعه على الزناد .

ومرت لحظات ايقن فيها القديس ان الموت آت لا ريب فيه .

وفجأة صاح بيتل :

— كلا ... لا تقتله . !

ووثب جون بيتل فى حركة سريعة فاختطف مسدس بلوم ثم مسح جبينه الذى تصبب عرقا وقال فى صوت لاهث :

— امجنون انت .. لقد كانت الفتاة فى رفقته منذ لحظات وفرت هاربة .. ! انه هو الذى ساعدها على الفرار . ! فلو اصابه سوء لاتجهت الينا الشبهات على الفور . ولوجهت الفتاة التهمة الينا فى غير تردد ولوجدنا انفسنا غدا فى السجن !

وقال القديس في صـوت هادىء :
— انى معجب بقوة منطقك وسرعة بديهتك يا بيتل . !
وقد كاشفتك بهذا الرأى منذ قليل . !
واستطرد سير جون يقول :
— لابد أن ندبر الأمر بحيث يبدو موته كانما وقع قضـاء وقدرا .. ان هذه الفتاة اللعينـة كفيلة بأن تطلق البوليس في اثرنا لو داخلتها ذرة من الشك . !
وهز بلـوم كتفيه وقال في برود :
— في وسعنا ان (نسد) فمه الى الأبد .
فقـال بيتل :
— دعه وشأنه ولا تشغل نفسك به . اين الرئيس ؟
— سيحضر بعد قليل .
وهتف القديس يقول :
— هذا نبأ عظيم . ! النمر سيحضر بعد قليـل .. وسأشرف بمقابلته . ! النمر العظيم . ! والله انى لأتلهف الى مقابلته منذ زمن طويل . !
فقال بيتل في هدوء :
فليطمئن بالك يا مستر تمبلار عندما يأذن النمر بمقابلتك كان هذا ايذانا بدنو اجلك . انه لن يقابلك الا اذا كان قد عول على أن يقتلك حتى لا تفشى سره فيما بعد . ! وانى اعتقد انك ستتصرف بمقابلته الليلة . !
وابتسم القديس ابتسامته الهادئة وقال :
— اتحسبنى طفلا يا بيتل يخيفنى التهديد . ! انى رجل وطنت نفسى على المهالك والاخطار في خلال السنـين الماضية .. ! ولقد استهدفت لاخطار كثيرة .. ووجهت الى انذارات لاحصر لها .. ! ومع ذلك فها انذا لا ازال على قيد الحياة .. ! ولست اظن ان النمر سيعكس الحظ . !

— ان النمر اقوى من جميع اعدائك مجتمعين . !
— اظن ذلك . !
وبعد لحظات قال القديس :
— لقد فتشتمونى وجردتمونى من خنجرى . فهل تسمحون لى بأن امد يدى في جيبى لأخرج علبة سجائرى ؟
— لك ذلك اذا شئت .
واخرج القديس علبة سجائره . كانت علبة بريئة المظهر .. ليس في ظاهرها ما يدل على انها يمكن ان تكون سـلاحا منقذا في يدى القديس ولكن الذين يعرفون هذه العلبة البريئة لا يجهلون انها انقذته من الموت اكثر من مرة .. فبها سجائر تنفجر اذا اشتعلت وتلقى دخانا كثيفا تدمع له العينان .. وفيها من اسباب الدفاع ما انقذ القديس مرة بعد مرة .. اذ يكفى ان ان يقدم الى حارسـه سيجارة تكون فيها النجاة .
وترك القديس السجائر الخداعة . وتناول سيجارة حقيقية اشعلها ومضى يدخن في التذاذ واضح .
ورافق بلوم بيتل الى ركن من الغرفة ومضيا يتحـدثان في صوت منخفض . وأرهف القـديس اذنيه ولكنه لم يسـمع شـيئا .
ونظر في ساعته .. بعد ثلث ساعة ستمضى باتريشـيا الى مقابلة كارن — كما اوصاها — وتفضى اليه بما حدث .. وسيخف كارن الى نجدته .. وهناك ايضا خادمه الامين هوراس .. انه لن يدعه يموت كالكلب الحقير وانما سيجد في البحث عنه .. وسيعرف كيف يهتدي اليه .. ومع ذلك فثمة حيل والاعيب اخرى قد تكون فيها النجاة .. ان في علبـة سجائره خدعات يمكن ان تساعده على الفرار .
وقطع على القديس حبل تصوراته رنين جرس دق في اقصى البيت .. وبعد لحظات دخل رجل اقترب من بيتـل

المناجم لا قيمة لها على الاطلاق وانها مهجورة منذ زمن طويل وانه لا رجاء في العثور على شيء فيها .. عند ذلك قلت لنفسي : اذن لماذا يتجشم هذا الرجل نفسه مؤونة شرائها ولماذا يشترى اسهما لا قيمة لها .. ؟ الا يبدو الأمر غريبا في نظرك يا بلوم .. ؟

فابتسم بلوم وقال :

ــ كن مطمئنا يا مستر تمبلار .. فعما قريب لن تعود هذه المشكلة تحيرك . لانك ستكون قد مت .. !

فابتسم القديس بدوره وقال :

ــ قبل أن الفظ النفس الأخير سيهبط على الوحي . سأقول لنفسي مثلا : لنفرض أن لصا سطا على بنك في أمريكا وسرق منه سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه فما عساه يستطيع أن يفعل بهذه السبائك ؟ لو انه ذهب يعرضها على التجار لرابهم الأمر ولقالوا له من اين جئت بهذه السبائك يا صاح ؟ وفي اليوم التالي سيجد اللص نفسه ضيفا على الحكومة .. .. اذن ما العمل .. ؟ الحل الوحيد للخلاص من هذه الورطة هي ان يشترى مناجم ذهب ناضبة . ثم ينقل الذهب من أمريكا حيث مقر البنك المسروق .. الى انجلترا . ومن انجلترا تنقل السبائك سرا الى بلاد الترنسفال وتوضع خفية في هذه المناجم الخالية .. وفي اليوم التالي تستخرج السبائك من المنجم على انها الذهب الذى ادى اليه البحث .. واذ ذاك يمكن ان يعرض الذهب على التجار دون أن تتحرك الشبهات اليس هذا الفرض معقولا يا بلوم .. ؟

فضحك بلوم وقال ساخرا :

ــ فرض معقول . انك عبقرى نابغة .. !

وكان القديس وهو يلقى بهذه الكلمات يرقب بلوم ... وكان يقرأ في ثنايا وجهه انه أصاب في فرضه .. ! نعم .. لقد

وهمس بتسع كلمات في اذنه فغادر المليونير الغرفة على عجل .. واقترب بلوم من القديس ونظر اليه نظرة تدل على الحقد الممزوج بالارتياح . فابتسم القديس وقال :

ــ اذن فقد حضر النمر ودنت ساعة الموت .. !

فأحنى بلوم رأسه وأدار في الشاب نظرة فاحصة وقال :

ــ لقد سببت لنا متاعب كثيرة .. وحشرت نفسك فيما لا شأن لك به .. ولكن امرك لن يطول .. !

فابتسم القديس وقال :

ــ لقد سمعت هذا التهديد من قبل أكثر من مرة .. ومع ذلك ظلل عمري وامتد عاما بعد عام .

ــ ولكنه لن يمتد بعد اليوم . هل نسيت ما حل بفرلاندو ؟

ــ لم انس طبعا . ؟ ولكني اتمنى قبل ان اموت ان اعرف شيئين اثنين : من هو النمر .. واين اخفى الغنيمة ؟ ويخيل الى انى اوشك على معرفة جواب هذين السؤالين .

ــ انك شديد الثقة بنفسك يا صديقى ؟

وبعد سكتة قصيرة قال القديس فجأة :

ــ وكيف حال اسهم مناجم ديب ؟

ولزم بلوم الصمت ولم يحر جوابا .

واسترسل القديس يقول :

ــ هناك مسألة حيرتني طويلا .. هذا رجل عاقل معروف برجاحة الرأى فلماذا يقدم على شراء مناجم عرف الخاصة والعامة ان البحث اثبت نضوبها وانها خالية من الذهب .. ؟ لقد عهد هذا الرجل الى وكلائه بأن يجمعوا من الأسواق اسهم مناجم ديب مع علمه بأن هذه المناجم اصبحت لا تساوى شيئا وان اسهمها قد انحدرت حتى اصبح سعرها لا يكاد يساوى ثمن الورق المطبوعة عليه .. ؟ لقد ابرقت الى وكيلى المالى في الترنسفال فجاءني منه الرد يؤكد ان هذه

سطا النمر على بنك الاتحاد الدولى فى شيكاغو وسرق منـه سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه نقلها سرا الى انجلترا ثم اشترى بعض المناجم القديمة فى الترنسفال لكى ينقل اليهـا السبائك ثم يصدرها مرة اخرى زاعما انه عثر عليهـا فى المنجم ... !

لقد حاول بلوم التظاهر بقلة الاكتراث وعدم المبالاة ... ولكن ملامحه نمت على أن القديس لم يفكر فى هذا الفرض الا الحقيقة .. !

كان هناك سؤالان يدوران فى رأسه وقد عرف الى حد ما الجواب على احدهما .. السبائك موجودة فى انجلترا .. بل فى بيكومب حيث يوجد افراد العصابة .. وستنقل الى الترنسفال الى تلك المناجم المهجورة والان يبقى السؤال الثانى : من هو النمر ... ؟ من يكون هذا الزعيم الخفى الذى يتولى شئون هذه العصابة الرهيبة ببراعة ونبوغ .. ؟

نعم .. من هو هذا الزعيم بين سراة بيكومب واعتيانها .. ؟ ان فى وسعه ان يستبعد كارن وبيل وبلوم ويبقى بعد ذلك سير ميشيل لابنج . ولكنه قاض سابق محترم حسن السمعة .. فليستبعد اسمه ايضا . وهذا الساذج الجرنون لوماس كوبر .. ؟ انه يكاد يكون غبيا ابله ولا يمكن ان يكون صاحب هذا العقل الجبار الذى يسيطر على هذه العصابة ويحركها فى براعة ويضع لها خططا حار البوليس فى امرها .

ومس جيرتون .. ؟ والموظفان اللذان اعتزلا الخدمة ؟ نعم. ان فى مسلك جيرتون شذوذا عجيبا وهى فى اخلاقها ادنى الى الرجال منها الى النساء . ولا يبعد مطلقا ان تكون رجلا متنكرا فى زى النساء .. وهذان الموظفان . انه لا يكاد يعلم من امرهما شيئا .

وجعل القديس يفكر فى هذه المعضلة ويقلبها على نواحيها المختلفة ان سير لابنج فوق الشبهات فهل معنى ذلك — طبقا لاوضاع الروايات البوليسية — انه هو الزعيم الخفى .. ولوماس كوبر من البلاهة والسذاجة بحيث يستحيل ان يكون صاحب هذه العقلية الفذة ؟ ومس جيرتون يمكن ان تكون رجلا متنكرا فهل هى الزعيم الخفى . والموظفان السابقان .. انهما يعيشان فى عزلة تامة يكتنفها الغموض .. فهل هذا التستر من مقتضيات هذه الزعامة الخفية ! ؟

يضاف الى هذا ان بلوم واجنا جيرتون ولوماس كوبر كانو يقيمون فى قرية بيكومب قبل ان يسطو النمر على بنك الاتحاد الدولى فى شيكاغو . ولا ريب ان النمر قد امضى شهورا طويلة فى التأهب لهذا السطو .

والخلاصة ان القديس لم يقع على اية بادرة يمكن ان تهديه الى حقيقة شخصية النمر .

وانتبه القديس من خواطره على دخول بيتل .

وانتحى بيتل ببلوم ركنا من القاعة وهمس فى اذنه كلاما بصوت خافت .

وبعد قليل سمع بلوم يقول فى دهشة :

— النمر امر باطلاق سراحه ! هذا عجيب !

واسترسل بيتل يتحدث اليه بنفس الصوت المنخفض واخذ القديس يسائل نفسه عن معنى ذلك .. ! كيف هذا .. ؟ هل امر النمر باخلاء سبيله ؟ وهل هو المقصود بهذا الامر ام سواه ؟

وبعد لحظات اقترب منه بيتل وقال :

— الوقت متأخر الان يا مستر تمبلار ولا شك ان هذه الانفعالات قد انهكت قواك فيمكنك ان تنصرف لتنام اذا شئت .

فقال القديس فى استغراب :

ــ أتصرف أتريد أن تقول ..

ــ نعم .. انك حر في الانصراف والعودة الى دارك في أية لحظة شئت . !

وكان الرجلان ينظران اليه في حقد وشرر البغض يتطاير من عيونهما ونظر اليهما القديس باسما وقال :

هل يمكنني أن استعيد خنجري . ؟

وسار الى المكتب دون أن يعترضه أحد فتناول الخنجر وأغمده في جرابه المشدود الى ذراعه .

كان القديس لا يزال في عجب من أمر هذا التطور .. ! ترى لماذا أطلق النمر سراحه .. ؟ أهناك مكيدة أخرى دبرت له .. ؟ أينوون الفتك به اذا ما غادر الدار أم في الحديقة .

وانحنى القديس أمام الرجلين وقال :

ــ انى شاكر لكم هــذا التلطف ولكنى ما كنت أتوقع أن يكون فرار مس هولم سببا في افساد خطتكم الى هذا الحد .!

فقال بيتل في صوت هادىء :

ــ خير لك أن لا توجه الينا أى سؤال آخر .

وقال بلوم في غيظ مكتوم :

ــ أسرع بالانصراف قبل أن نغير رأينا . !

فابتسم القديس وقال :

ــ أتعتقد حقا أن لك رأيا يؤبه به . ؟ لقد قال النمر : « أطلقوا سراحه » اذن فليطلق سراحه بلا تردد . ! أم لعلكم خشيتم بأس صديقى هوراس ؟ وحسنا فعلتم بالافراج عنى فلو أنكم مسستم شعرة من رأسى لأفرغ هوراس رصاص مسدسه في أجسامكم . ! ولكن خبرونى .. ألا تخشون أن أستعين عليكم برجال اسكوتلانديارد . ؟

فابتسم بيتل وقال :

ــ انك لست من الطراز الذى يستعين برجال البوليس ان لك ماضيا ومن مصلحتك أن تتحاشى الاتصال بالبوليس ومهما يكن من أمر فانه يهمك أن تكتم الأمر عن الشرطة حتى لا تحرم من عشرات الالوف من الدولارات التى تمنى نفسك بالحصول عليها .. أليس كذلك يا مستر تمبلار .. ! اننا لا نخشى وشايتك . بل نعلم انك ستكون كتوما . فابتسم القديس وقال :

ــ أصبت .. سأكون كتوما .

وانحنى رأســـه للرجلين وقال :

ــ أرجوك تبليغ النمر شدة أسفى لعدم تشرفى بمقابلته .

ثم أردف يقول :

ــ وعلى فكرة . يجب أن تحذر النمر لانه قد يتسبب بمصرع فرناندو الى أحدكما حتى ينقذ نفسه من المسئولية . !

ــ شكرا .. اننا على حذر . !

ــ اذن طاب ليلكما وأرجو لكما كابوســا مزعجا .

وسار الى باب الشرفة وهو يقول :

ــ الديكما مانع من أن أخرج من هذا الباب . ؟ انى أكره أن أسير في الدهاليز المظلمة .

وقال سير بيتل :

ــ مستر تمبلار .. قبــل أن تنصرف أحب أن أسديك نصيحة حتى لا تقضى الليل ترقب الدار لترى النمر .. نعم .. لقــد انصرف النمر منذ دقائق فيمكنك أن تنام مطمئنا ولا تشغل نفسك بالمراقبة .

ــ شكرا على هذه النصــيحة .. وأنا بدورى أحب أن أنصحك أن من عادتى وهوراس أن ننام بالتناوب في الحصن .. فاذا فكر أصدقاؤك في زيارتى هناك فسيجدون أحــدنا مستيقظا حتما .. لنرحب بهم .

وفى اللحظة التالية كان القديس قد وثب الى الحديقة وتوارى بين اشجارها وبلغ الجدار وتسلقه ووثب الى الخارج .

واقترب من مسكن كارن وهو لا يزال يجد نفسه سليما معافى .. هذا عجيب عجيب جدا .. !

ونظر فى ساعته فالفى انه لم يبق على الموعد المحدد الا دقيقة واحدة .. بعد دقيقة واحدة ستفضى باتريشيا هولم الى كارن بتفاصيل الحادث .

وهرع القديس الى باب كارن ودق الجرس .

الفصل السابع

بعد ثوان قليلة فتح الدكتور كارن الباب .

وابتدره القديس بقوله :

ــ كنت أعلم انك لم تنم بعد فجئت لاتناول معك قدحا من العصير .. !

ودخل الدار قبل ان يدعوه كارن الى الدخول . واغلق هذا الباب ولحق به وهو يقول :

ــ الواقع انى لم اكن اتوقع زيارتك الليلة يا مستر تمبلار فضلا عن ان لدى شخصا .

ــ ارجو الا اكون قد قطعت عليك احدى زياراتك الاستشارية يا دكتور ! اذا كنت قد ازعجتك فارجوك أن تقذف بى من النافذة فى غير تردد .

فقال كارن فى تؤدة :

ــ كلا .. ان مس هولم لم تحضر الا لتتحدث الى .. !

فابتسم القديس ابتسامة ذات مغزى وقال :

ــ عال .. عال .. !

واخذ يسائل نفسه عما اذا كانت باتريشيا قد تكلمت وافضت اليه بما جاءت من اجله .. ! ونظر اليها ونظرت اليه .. ! وفهم انها لم تتكلم بعد .

وقال الدكتور كارن :

ــ من يراك يحسبك قد خرجت من معركة يا مستر تمبلار .

فقال القديس باسما :

ــ الم تنبئك مس هولم .. ؟

ــ لم ار ان من حقى ان استجوبها .. !

وهز القديس كتفيه ولم يكن يدرى ما ينبغى أن يقول .. ان ثياب باتريشيا ممزقة مبللة .. فهل تراها قد التفت الى كارن باى تفسير .. ؟ وبماذا يجيب حتى لا يكون هناك تعارض بين قولها وقوله .. ؟

وقال الدكتور كارن مسترسلا :

ــ عندما طرقت مس هولم بابى ورأيتها على هذه الحال ، وقع فى خاطرى انها اصيبت فى حادث ما . وانها جاءت لافحصها . ولكنها اكدت لى انها لم تأت الا لتبادلنى الحديث .. فلم يكن هناك مفر من ان اكتم فضولى ، ولم اشأ ان اوجه اليها اى سؤال . ولكنى اعتقد انها كانت تهم بأن تروى لى ما حدث عندما طرقت انت الباب .. ؟

ونظر القديس الى الطبيب نظرة تنطوى على التهكم فقال هذا :

ــ ان من عادتى بصفتى طبيبا أن أدع مرضاى يفضون الى بما عندهم .. ؟

واشار كارن الى ثياب باتريشيا وثياب القديس ولم يقل شيئا .

وضحك القديس وقال :

— انى اخشى ان يقتلك الفضول .. ؟

فهز كارن كتفيه وقال :

— هذا يتوقف على اشياء كثيرة .. !

وشعرت باتريشيا بشيء من القلق .. كانت تعتقد أن كارن وتمبلار صديقان حميمان .. والا فلماذا أوفدها اليه ليخطره بأن الخطر محدق به .. ولكن ها هى تلمس الآن فى جلاء أن بين الرجلين عداء .. أو على الأقل حذرا قائما .. كل منهما متحفظ فى حديثه .. يعمد الى الغمزات والتلميح بدلا من التصريح .. ! فما الذى بينهما يا ترى .. ؟

وقال القديس فى هدوء :

— أتحب ان أروى لك القصة .. ؟

— طبعا ... واكون ممتنا ..

فقال القديس فى لهجة الصديق الودود :

— اذن أعرنى سمعك ! .

واقترب منه وقال فى لهجة الرجل الذى يفضى بسر خطير :

— لقد حدث أن ..

ثم قطب جبينه وقال :

— يا للعجب .. ! لقد نسيت ما حدث .. !

وغمغم كارن ساخطا لاعنا .. لم يكن له هدوء القديس وقدرته على التسلط على أعصابه .

وقالت باتريشيا :

— كان مستر تمبلار فى رفقتى طيلة المساء تقريبا .. ولقد كنا نتريض بين الصخور عند الجرف .

فلوح القديس بيده وقال :

— أصمتى .. والا ظن الدكتور أن بينى وبينك أشياء .!

وقرض كارن على أسنانه غاضبا .

وقال القديس :

— انظرى ماذا فعلت بالدكتور يا باتريشيا ؟ . لقد اثرت غيرته ! .

وودت الفتاة لو ضحكت . ! موقف يبعث على الضحك .. رجل يتميز غيظا ويكاد ينفجر حنقا .. وعلى قيد خطوة منه رجل بارد الأعصاب يمزح ويهزأ ويهزل فى أشد مواقف الجد خطورة . !

واخيرا لم ير كارن جدوى فى هذا الغيظ المستولى عليه . فكظم ما بنفسه واستعاد هدوءه . وقال له القديس :

— الآن وقد استعدت ثباتك أستطيع أن أكاشفك بالحقيقة .. انك انت الذى دفعت بنفسك الى هذا الموقف .. لو أن احدا رآك وأنت تنظر الى لظن أنك تتهمنى بأنى سطوت على مكتب بريد بيكرمب .. أو انى تسلقت شجرة لأسرق تفاحة .. ولكن الأمر أهون من ذلك بكثير يا صديقى ! . كنت أنا ومس ستارك نتريض على حافة الجرف .

فقالت باتريشيا متممة :

— وزلت قدمى فسقطت .. وقد علقت ثيابى بنبات الغاب وخف مستر تمبلار الى نجدتى فكان من أثر ذلك ما ترى من تمزق ثيابى وثيابه ..

واسترسل القديس يقول :

— ولكن كل مطمئنا يا صديقى فلم يصبنا اى اذى .

وجعل كارن ينقل بصره بين القديس والفتاة .

وقالت باتريشيا :

— كنت أوشكت ان أفضى اليك بهذا لولا أن طرق مستر تمبلار الباب فقطع على الحديث .

والقى القديس على الفتاة نظرة تنم على الاعجاب ! . ان لها أعصابا هادئة ! . انها تعرف كيف تتخلص من الحرج

الموقف بجملة قصيرة . ولكن ما الذى يجعلها تخف الى نجدته وتأييده فى كل كلمة ينطق بها . ؟

نعم .. ان الامر واضح . انها تقر بفضله عليها وانقاذه اياها من اعدائها . ! هذا هو التعليل الوحيد الذى خطر ببال القديس .

وارتسمت على شفتى كارن ابتسامة خفيفة وتحول الى الفتاة وقال :

— مس فولم . لقد جئت الى تسأليننى رأيى فى مستر تمبلار وتستفسرين عما اذا كان مستهدفا لاى خطر . وعندما رأيته على هذه الحال ظننت انه تعرض لبعض المخاطر على عادته ولم يخطر ببالى انك كنت معه .

فقال القديس مقاطعا :

— اين العصير يا صاح ؟ .

واعد كارن الاقداح وملأها .

ورفع القديس قدحه الى شفتيه وقال :

— ارجو لك التوفيق يا كارن بصفتك طبيبا عظيما وجراحا من اشهر الجراحين ! .

وفى هذه اللحظة دق جرس الباب .

وقال القديس :

— يظهر ان عملاءك لا يريدون ان يدعوك تنام الليلة . !

وقال كارن وهو يغمغم غاضبا :

— اظن ذلك .

وغادر الغرفة .

وبعد لحظات ارتفع من ناحية الباب صوت يسأل عن مستر تمبلار واعقب ذلك وقع اقدام تقترب من الغرفة . ثم فتح الباب .

وكان القديس فى هذه اللحظة قد وقف عند النافذة يطل الى الخارج متظاهرا بعدم الاهتمام .

وقال صاحب الصوت :

— ها هو ! .

ورفع القديس بصره ونظر الى المتكلم . فاذا هو امام كونستابل القرية العظيم الشأن ! .

وتكلم الشرطى قائلا :

— انني الكونستابل جورج هوبكنز .. واذا سمح لى الدكتور قبضت على زائره مستر تمبلار بتهمة السطو والاعتداء .

وغمغم القديس يقول :

— يا للشيطان ! . تهمتان فى وقت واحد ! . الست يا صديقى من أنصار طريقة التبسيط ؟ .

اذن فهذه هى خطة النمر ؟ . أطلق سراحه ثم ارسل البوليس فى اثره ليقبض عليه ! . وسيقدم الى المحاكمة . وسيقضى عليه بالسجن ستة شهور مثلا . وفى خلال هذه الشهور الستة يستطيع النمر أن ينقل سبائك الذهب الى الترنسفال ثم يبيعها فى السوق على اعتبار انها ذهب مستخرج من المناجم ! . ؟

حقا ان النمر داهية لا يشق له غبار ! .

وقال القديس :

— انك مخطىء فى توجيه هذه التهمة الى يا عزيزى الكونستابل ! .

ولكن من الذى شكانى ؟ .

— انا .. !

وتقدم بلوم الى وسط الغرفة . وكانت ملامحه تنبىء عن اغتباطه .

وانحنى بلوم امام الدكتور كارن وقال :

— معذرة يا دكتور على ازعاجك في مثل هذه الساعة من الليل . وانت يا مس هولم .. يؤسفني ان اضطر الى اتخاذ هذا الاجراء في حضورك . ولكن اذا اردت الانسحاب فان . . .

فقاطعته الفتاة في اصرار :

— انى اوثر ان ابقى .. والواقع ان توجيه هذه التهمة الى مستر تمبلار قد ادهشتني لقد امضى المساء بطوله في رفقتي . فلابد أن تكون هناك غلطة يا ! .

ولبث بلوم يحدج الفتاة بنظرة ثاقبة ثم قال :

— كنت جالسا في مكتبي في هذا المساء بعد الساعة الحادية عشرة حين دخل هذا الرجل على .. لقد هددني ! ثم وتوعدني بالموت .. وكان مصوبا مسدسه الى .. وقد وجه الى عبارة لم افهم لها معنى .. وعلى رغم تقدمى في السن لست بالرجل الجبان فنهضت لاذود عن نفسي ولكنه عاجلني بضربة من مقبض مسدسه القتنى على الأرض . ولخذ يفتش ادراج مكتبي كانما يبحث عن شيء . وقد استفقت من اغمائي قبل ان يفر هاربا ولكني ظللت راقدا على الأرض حتى لا اعرض نفسي لاعتداء جديد .. وعندما غادر المكان اقتفيت خطواته سرا ورايته يدخل هذا البيت ! . فاستدعيت الكونستابل وحضرت في رفقته .

وقال الشرطى في صراحة :

— وسترافقنا الى المخفر دون ان تبدى اية مقاومة .. ! ؟

ووضع يده على كتف القديس .

وقال هذا في هدوء :

— فليكن .. ولكن ارجوك ان تفتشنى اولا لتعثر على هذا المسدس المزعوم الذي هددته به .

فقال بلوم وهو يبتسم :

— لقد تركته عندي .. على حافة المكتب وانت تفتش الادراج ... وها هو !

وتناول كارن المسدس ليفحصه ثم قال :

— مسدس بلجيكي .. اهو مسدسك يا مستر تمبلار ؟

— كلا .. اذ ليس من عادتي أن احمل مسدسا .. ان للمسدسات صوتا مدويا يسترعى الأبصار والاسماع .. انى افضل ان اقتل ضحاياي خنقا .

وقال الشرطى في غضب :

— هيه .. هيا سر امامى ! .

ودفع القديس بيده فانثنى هذا . وامسك بذراع الكونستابل ولواها فصرخ هذا صرخة شديدة ثم دفعه في عنف فارتطم بالجدار ووقف عنده .

واصلح القديس رباط عنقه .. ورأى مسدسا مصوبا اليه .. مسدس بلوم .

وابتسم القديس وقال :

— اياك ان تضغط الزناد يا صديقي فان المسدسات لعبة خطرة ! .

وكان هو يكتر لا يزال صامتا مذهولا .. وقال بلوم :

— كيف تعتدى على ممثل القانون ؟

— دعك من هذه السخافات يا بلوم . ودعنى اوجه اليك بعض الاسئلة هل كنت وحدك عندما اقتحمت عليك مكتبك ؟

— نعم .

— واين كان الجنى . ؟

— في القصر .. في زيارة مس جيرتون .

— وهل رافقك احد عندما تعقبتني . الى هذا البيت . ؟

— كلا .. كنت وحدى ! ومع ذلك فانني ارفض أن أجيب على أسئلتك .

فابتسم القديس وقال :

— فى هذه الحالة لن تكون اقوالك ارجح من اقوالى مادمت قد اعترفت بأنك كنت وحدك .. ! ولنفرض انى لم انكر اننى زرتك ؛ وانني تلقيت واقمة تهديدى لك .. واننى اقرر على النقيض انك انت الذى هددتنى بمسدسك . فماذا يكون جوابك على هذا ؟

فقال هوبكنز مقاطعا :

— يمكنك أن تروى هذا للقاضى اذا شئت .. !

فابتسم بلوم وقال :

— ان للقاضى ان يأخذ باحد القولين .. ومن الجلى انه سيؤمن باقوالى .. ؟

— طبعا .. حين يرى ثيابى الممزقة .. ولكنى اعرف أن ثيابك انت ممزقة أيضا .. انزع معطفك .

ونزع بلوم معطفه فاذا بثوبه نظيفا .. ! ان النمر لا يغفل عن شىء .. لقد جعله يخلع ثيابه التى تمزقت اثناء المطاردة عند اقتحامه الشجيرات والاعشاب .

وقال الدكتور كارن متسائلا :

— قلت يا مستر بلوم ان مستر تمبلار ذكر لك جملة لم تفهم لهما معنى فما هى هذه الجملة ؟

فقال بلوم مجيبا :

— لقد سمعته يقول : انى ابحث عن عرين النمر ، وعن الفريسة التى يخفيها » .

وساد الصمت .. كان كل يفكر فى شأنه .! أما باتريشيا فكانت تفكر فى الوسيلة التى تستطيع بها أن تنقذ القديس .

واما القديس فكان يفكر فى انه وقع فى ورطة جديرة بان تفسد خطته وحتى بفرض انه لم يسجن ستة شهور فقد يحبس يومين أو ثلاثة . وفى خلال هذه الفترة سيتمكن النمر من نقل السبائك من مخبأها فى بيكومب الى مناجم الترنسفال ..

أما الدكتور كارن فكان يفكر فى ناحية أخرى ؛ ترى هل كذب القديس حين زعم انه كان فى رفقة باتريشيا يتريضان على حافة الجرف .. ؟ وهل بلوم صادق فى توجيه هذه التهمة ؟ واذا كان صادقا فهل معنى ذلك أن القديس يعمل ضد النمر ويحاول أن يحبط خططه .

وقال القديس :

لحظة واحدة .. لى سؤال أخير : أحب ان يرى الدكتور كارن موضع الضربة التى يزعم اننى سددتها اليك ؟ .

ولم يرتبك بلوم امام هذا الطلب . وانما اقترب من الطبيب وأمال رأسه الى ناحيته وهو يقول :

— هنا خلف الأذن .

وقال الدكتور كارن بعد أن تحصه برهة :

— هذا صحيح .. هنا أثر ضربة . ! ضربة حديثة .. ! لا مهرب لك من التهمة يا مستر تمبلار .

فابتسم القديس وقال لنفسه :

— كل هذا من تدبير النمر .. انه لا يغفل من شىء .. ولكنى سأريه انى أبرع منه ، وانى سأعرف كيف احبط خططه !

وقال بلوم :

— لا داعى لاطالة هذه الزيارة .. هيا يا هوبكنز تقدم

وقم بواجبك . ابن القيد الحديدى . ؟ لا تخف . ! اذا حاول ان يعتدى عليك مرة اخرى اطلقت عليه النار .

وصوب مسدسه الى القديس .

واخرج هوبكنز القيد الحديدى من جيبه واقترب من القديس ووضع يده على كتفه وقال فى صوت صارم :

— باسم القانون اقبض عليك . !

وفى هذه اللحظة بدا شبح فى النافذة .

وارتفع صوت يقول :

— ما هذا . ! ما معنى هذا . ؟

الفصل الثامن

وما ان سمع بلوم هذا الصوت حتى استدار الى النافذة .. واذ راى الشبح امتقع لونه وارخى يده الى جانبه وترك المسدس يسقط من قبضته .

اما هذا الشبح فلم يكن الا هوراس خادم القديس الامين وقد جاء فى هذه اللحظة المناسبة متسلحا بمسدسه الضخم .

وقال هوراس وقد تخطى حافة النافذة ونزل الى الغرفة :

— هذا فخ منصوب . ! هذه تهمة ملفقة . ! ولكنى جئت فى الوقت المناسب لحسن الحظ . !

فقال بلوم :

— ولكن يا صديقى ..

مقاطعه هوراس فى خشونة قائلا :

— انى لست صديقك . ! واياك ان تلتقط المسدس والا الهبت راسك برصاص مسدسى .

فعاد بلوم يقول :

— ولكن فى وسعى ان اشرح ما حدث .

فقال هوراس :

— تشرح ما حدث . ! انى اعلم ان التلفيق لن يعيى الكذوب .

فقال القديس ضاحكا :

— دعه يا هوراس ولا تهدده بمسدسك فانه لن يقدم على الاذى مرة اخرى

ورد هوراس مسدسه الى جيبه بعد ان استولى على مسدس بلوم .

ثم قال متسائلا :

— ولكن ما الذى حدث يا سيدى . ؟

— هناك غلطة بلا ريب .. ان مستر بلوم يؤكد انه رانى اقتحم عليه مكتبه . ولكنى واثق من انه مخطىء .. وهذا هو هوراس .. يستطيع ان يشهد بانى عدت الى الحصن فى الساعة الحادية عشرة ولم اغادره الا قبيل منتصف الليل بعشر دقائق .

لم ينظر القديس الى هوراس وهو ينطق بهذه الكلمات .. ولكنه كان مطمئنا الى ان خادمه سيؤيده فى شهادته على طول الخط حتى وهو يعلم انه كاذب .

وقال هوراس :

— هذا صحيح .. وانى اقسم على ذلك .

فقال القديس :

— ان مستر بلوم يؤكد اننى اقتحمت عليه مكتبه وهددته بمسدسى .

فهز هوراس راسه نفيا وقال :

— لا ريب انه كان ثملا ..

وتحول القديس الى بلوم قائلا :

ـ ارجو أن تكون يا مستر بلوم قد أدركت غلطتك .. انى واثق من أنك لم تر وجه المعتدى .. ومن المحتمل جدا أنه كان مقنعا .. ولكنك ارتبت فى اذ وجدت للمعتدى قامة شبيهة بقامتى .. أليست هذه هى الحقيقة ؟

ونظر الى بلوم .. وكانت نظرته تحمل معنى لم يخفه عليه .. كان يقول له : لقد اتهمتنى بأنى اعتديت عليك .. وكنت وحدك .. ولم يؤيدك احد فى شهادتك .. وتعمد كذبتك . ووجدت فى هوراس شاهدا يعضدنى .. فما رأيك . ؟ لو انك اصررت على توجيه هذه التهمة الى لأسأت الى نفسك ولقدمتك الى المحاكمة بتهمة تشويه سمعتى وها انذا اعرض عليك مخرجا .. قل ان المعتدى كان مقنعا وانج بنفسك ..

وقال بلوم :

ـ هذا صحيح .. كان المعتدى على مقنعا فلم أر وجهه لا شك انى اخطأت فظننت انه مستر تمبلار لتشابه القامتين .. وانى لآسف لوقوعى فى هذه الغلطة واقدم اليك اعتذارى يا مستر تمبلار .

فقال القديس باسما :

ـ وانى اقبل هذا الاعتذار على أن لا تعود الى هذه الغلطة مرة أخرى .

وتحول الرجل الى الطبيب والى مس هولم قائلا :

ـ يؤسفنى اننى ازعجتك يا سيدى الدكتور .. وانت يا مس هولم انى اقدم لك اعتذارى ..

وسار الى الباب فلحق به القديس واعاد اليه مسدسه وهو يقول :

ـ خذ مسدسك فقد تلتقى بالرجل المقنع .. واذا

عثرت عليه فلا ترحمه .. افرغ رصاص مسدسك فى صدره ..

وحين غادر بلوم الغرفة قال الكونستابل :

ـ انتهينا من هذا ولكن بقيت حكاية اخرى .. كيف تعتدى على رجل البوليس اثناء تادية وظيفته .

فقال القديس معتذرا :

ـ انى آسف ولكن ارجوك ان تقدر حرج موقفى .. رجل شريف نقى السمعة يجد نفسه مسوقا الى السجن بتهمة كاذبة ..

فقال الدكتور كارن :

ـ هذا صحيح .. وارجو أن تلتمس عذرا لمستر تمبلار ..

فقال الكونستابل :

ـ سأصفح عنك هذه المرة ولكن اياك ان تعود الى فعلتك مرة اخرى .

وانصرف الشرطى بدوره .

وهتف القديس يقول :

ـ سلم الشرف من العار .

فابتسم كارن وقال :

ـ ولكن ما الذى جاء بهوراس فى هذه اللحظة بالذات ؟ .

فالتفت القديس الى هوراس وقال :

تكلم يا هوراس .. !

فسعل الخادم وقال :

ـ ان من عادتى أن اتجول قليلا كل ليلة لانشق الهواء الطلق وفى عودتى الى الحصن مررت ببيت الدكتور كارن وكانت النافذة مفتوحة فرأيت وسمعت .

فقال كارن :

— لقد أنقذت سيدك . !
فقال القديس :
— انه أعجوبة .
وبعد دقائق قليلة استأذن تمبيلار وباتريشيا في الانصراف .
سارا في صمت وسكون لا ينبسان بكلمة حتى بلغا « القصر » .
ووقفت الفتاة مستندة على سياج الحديقة .. وصعدها القديس بنظرة ثم قال :
— ترى هل سنلتقي غدا .. ؟
— طبعا .
— سأغادر الحصن بعد الافطار .
وتذكرت باتريشيا في عمتها أجنا جيرتون وقالت :
— أتحب أن أزورك في الحصن ! ..
— اني سأكون سعيدا بهذه الزيارة ان لم يكن في ذلك مشقة عليك ويمكننا أن نتناول الطعام معا .. ولكن أخبريني في أية ساعة تنوين الخروج حتى أوفد اليك هوراس ليرافقك ؟
— أضروري هذا .. ؟
— بل انه لا مفر منه . النمر جبار لا يرحم .. وقد عرف أنك أيدتني ودافعت عني فلا يبعد أن يوجه اليك اهتمامه . دعيني أتخذ من أسباب الحيطة يا باتريشيا ما تطمئن معه نفسي .
— فليكن .. اذن أوفد الى هوراس في الساعة العاشرة .
وساد صمت قصير . وقال القديس :
— وثمة مسألة أخرى .

وكانا قد اجتازا الحديقة وفتحت باتريشيا باب الردهة وأضاءت النور .
وقال القديس مسترسلا :
— أرجوك أن توصدي باب مخدعك بالمفتاح .. واياك أن تفتحي لأي مخلوق .. حتى ولا لعمتك ..
فابتسمت الفتاة وقالت :
— ألا تراك مبالغا في الحذر ؟
— لا أظن ذلك .. اني خبير بالنمر وأساليبه .. ! واذا جاءتك رسالة مني فلا تصدقي حرفا مما فيها الا اذا حملها اليك هوراس بنفسه .. قد أكون مسرفا في التشاؤم ولكن يجب أن تعلمي أن النمر قد سلكك الآن معي في خيط واحد ! .. اننا الآن لا نزال في مستهل الطريق وفي وسعك أن تتنحى ..
أيسعك الاستمرار .. ؟
— سأحاول .. !
وتناول يدها في رفق وقبلها وهو يقول :
— فليباركك الله يا باتريشيا .. !
وهمست الفتاة تقول :
— سيمون .. !
وارتعد القديس .. كانت هذه أول مرة توجه اليه الحديث باسمه مجردا من اللقب .. سيمون .. ! يا أعذبه وقعا في سمعه .. !
وعادت الفتاة تقول :
— سيمون .. أذهبت حقا عند بلوم .. ؟
— كلا .. انها حكاية ملفقة أراد أن يتوسل بها لالقائي في السجن أن بلوم أحد شركاء النمر .. وسأقص عليك التفاصيل غدا ..

وحياها وانصرف .

وكان هوراس على بعد خطوات منه فاتخذا سبيلهما الى الحصن طريقا مهجورا غير مطروق حتى اذا كان النمر وأعوانه فى انتظارهما استطاعا تضليلهم . وقد بلغا الحصن سالمين ودخل القديس الى غرفة نومه مسرعا وارتمى على الفراش وسرعان ما استغرق فى النوم .

ولم يستيقظ الا فى الصباح وقد غمرت الشمس الأرض وسمع هوراس يردد نفس الجملة المعهودة : ان الجو جميل يا سيدى ..

ولم يشأ القديس ان يأخذ حماما بحريا . لقد كان له من حادث اطلاق الرصاص عليه عظة باعدت بينه وبين البحر . وبعد ان تناول الفطار اوفد هوراس الى « التصير » ليصحب الفتاة فى عودتهما .

وجاءت الفتاة .. وبدت جميلة فاتنة .. واقترب منها القديس باسطا يديه وقال :

— يخيل الى انى لم أرك منذ أجيال وأجيال .. كيف الحال ؟

— على ما يرام .. ! ولم يقع اى حادث جديد .

وهيأ لها اريكة التى عليها طائفة من الوسائد ثم قال :

— انى موقن من انك تتلهفين تشوقا لمعرفة التفاصيل !

ومضى يقص عليها ما يعلم .. حدثها عن العصابة والنمر .. ومصرع فرناندو .. والذعر الذى اشاعه النمر فى شيكاغو على مدى بضع سنوات .. وكيف سطا على بنك الاتحاد الدولى وسلبه مليون جنيه من السبائك الذهبية ثم اخذ يروى لها الحوادث الأخيرة .. كان على علم ببعض نواحى السر الخفى .. كان يعلم ان السبائك سرقت .. وكان يعرف اسماء بعض رجال العصابة وكان

يعلم انها اتخذت بيكومب مقرا لها .. ولكنه لم يكن يعرف شخصية النمر الحقيقية .. ولم يكن يعلم المخبأ الذى اودعت فيه العصابة السبائك حتى تحين الفرصة المواتية لنقلها الى الترنسفال .

ثم قص عليها ما احدثه فى بيت بيتل عقب انصرافها وقال :

— والآن قد اصبحت على علم بجميع التفاصيل .. ولقد شهدت بنفسك جانبا مما وقع .. وجملة القول ان النمر موجود الآن فى بيكومب وكذلك السبائك ، ولقد اهدر النمر دمى واباح لأعوانه الفتك بى .. لما لا يرضينى الا القضاء على النمر والاستيلاء على السبائك .. وسنلتقى عاجلا .. وستكون المعركة دامية رهيبة .. وما قصصت عليك كل هذه التفاصيل الا لأنك اندمجت فى الحادث بالأمس اندماجا تاما ولو على غير ارادة منك او منى .. ان النمر يعدك الآن شريكة لى .. وسيصرف اليك همه .. وسينتقم منك .. ؟

وكان ينظر اليها .. وادركت باتريشيا انه لا يهزل ولا يمزح .. كانت فى كلماته نبرة تنم على الخطر ..

واسترسل يقول : هناك حل لهذا الموقف الحرج .. ان لى صديقا يدعى لبرى ماترنج يقيم فى مقاطعة ديفونشير . وهو متزوج .. وزوجته ملاك .. ولماترنج يخت جميل . سأكتب اليه لكى يستضيفك على يخته .

وسيقوم اليخت برحلة طويلة .. الى جزر الهند الشرقية مثلا . رحلة تستغرق نحو ستة شهور .. فاذا ما عدت بعد انقضاء هذه الفترة اكون قد انتهيت من عصابة النمر فما رأيك ؟

وظلت الفتـاة صـامتة لا تتكلم فقال القديس مرة اخرى :
— ما رأيك ؟
فابتسمت وقالت :
— ما رأيك انت ؟ .
— ماذا تعنين ؟
— اعنى انهـا رحلة جميلة ولكننى افضل أن ارجئها الى وقت آخـر . ! ليس فى نيتى أن اغـادر بيكومب فى الوقت الحـاضر .
ونهض القديس واقفـا وقال :
— رأيك هذا لا يعجبنى . ! انك فتـاة شجاعة بـاسـلة ولكن ما الفـائدة ! انى اكره أن اقحم امرأة فى مغامراتى . ! قد تعتقدين أن هذه المغـامرات مسـلية لذيذة .. فاعلمى الآن انهـا الموت والدمـار .. ولن اسـمح لك بالاشتراك فيهـا .
فابتسمت وقالت :
— امعنى ذلك انك تريد أن تختطفنى وترسلنى قسرا عنى الى هـذا اليخت ؟ انى انوى البقـاء فلا حيلة لك الا اذا اختطفتنى .. والاختطاف جريمـة لهـا فى هذه البـلاد اشد القصـاص .
فهز رأسـه وقال :
— انك حمقـاء .
فانفجرت تضحك وقالت :
— اذا كنت تبغى اثارتى فقـد اخطأت . ! نعم .. انى أعرف أن ليس فى هذه المغـامرات تسـلية وان فيها الموت والـدمار . ولكن من انبـئك انى اريد أن اعيش حتى أبلغ المـائة . ! انى احلم منذ سـنوات بأن أصبح بطلة قصـة من تلك القصص التى اشاهدها فى السـينما فاذا عولت على

معارضتى فسأمضى وحدى لمطاردة النمر .
وجعل القديس يصعدها ببصره وهو صـامت لا يتكلم .. ان باتريشـيا تبـدو عنيـدة ولا سـبيل الى تنيهـا عن المجـازفة بحيـاتها .
ومد يده فتناول يدهـا الصغيرة بين كفيه وقال :
— ليست هذه اول مرة لقيت فيهـا امرأة حمقاء .. ولكن هذه بلا شك اول مرة تعجبنى فيهـا الحمـاقة . !
— اذن فقـد اتفقنـا . ؟
— نعم .. وليحفظك الله يا شريكتى . ! وانى اشـهد الله على انى لم ادفع بك الى عرين النمر ، وانى قـد بذلت جهـد المستميت لكى انقذك من مخـالبه فأبيت .. والذنب ذنبك . ! انى برىء من دمك .
فابتسمت وقالت فى صوت عطوف :
— الا فليبـاركنا الله .

الفصـل التـاسع

سـاد صمت طويل
وقالت الفتـاة :
— وانا ايضـا لدى قصـة احب ان اكاشفك بهـا .
— حقـا .. تكلمى اذن
وقصت عليـه ما كان من أمر العصـابة لجثـا وتهديدهـا ثروتهـا والحديث الذى جرى بينهما . ولمـا فرغت قـال القديس وقد عقـد ما بين حاجبيه :
— هذا غريب . ! غريب جـدا . اذن فالعصـابة اخفا من افراد العصـابة . ؟ ولكن ترى لمـاذا يهددونها بالفضيحة؟ انى رغم احترامى لمس جيرتون لا استطيع ان اتصـور ان

لهـا مع وجهها هذا ماضيا غراميـا .

فضحكت باتريشـيا وقالت : هـذا فرض سخيف فى الواقـع .

وبعد سكتة قصيرة قال التديس :

ــ ما الذى تعرفينه عن عمتك ؟ .

ــ لا اعرف عنها الا القليل . كنت فى الثـانية عشرة من العمر عندما ماتت امى ، وقد قتل ابى بعد ثلاث سـنوات فى حادث مرور فتكفلت بى مس جيرتون وصـارت وصـية على . ولم اقابلها الا ثلاث مرات اذ كانت تقضى الشـطر الاكبر من حياتهـا فى الاسـفار والتجـوال ، وكانت تقيم عـادة فى الريفييرا اذ تملك فيلا جميلة هنـاك ، اما انا فكنت فى القسم الداخـلى بالجـامعة ، وفى خـلال العطلة كنت احضر الى بيـكومب فى رفقـة نفر من صـديقاتى اذ كنت اهاب الاقـامة وحدى فى القصر ، وفى بعض الاحيـان كنت امضى عطلتى مع صـديقـاتى ، وكانت مس جـيرتون تدفـع مصـاريفى الدراسـية بانتظام ، وكانت تكتب الى مرتين فى الشـهر عـادة .

ــ ومتى حضرت مس جـيرتون الى بيكومب للاقـامة فيهـا ؟

ــ عقب عودتهـا من امريكيـا الجنوبيـة . اى منذ ست سـنوات ، وقد كتبت الى من بور سعيد تنبئنى انها مسافرة الى افريقيـا ، وقد امضت هنـاك عاما كاملا فيما اعتقـد ، وفجأة حضرت الى بيكومب وقالت انهـا ملت السـفر وانها قد اعتزمت ان تقيم فى القصر باستمرار ، ولم تسـافر بعـد ذلك إلا فى رحلات قصـيرة .

ــ متى كانت آخر رحـلة .

ــ منذ عامين تقريبـا ، ولكنى لا اذكر على وجه التأكيد .

ــ فكرى قليلا .. اشحذى ذهنك . واعلمى ان هنـاك ناحية هـامة يجب ان لا تغفل عنهـا لقد عينت مس جيرتون وصية عليك وانت فى الثـانية عشرة من العمر ، ولم تريهـا الا عقب عودتها من افريقيـا اى وانت فى السـابعة عشرة ففى خـلال هذه الفترة .. فى خـلال خمس سـنوات يمكن ان تقع حوادث عجيبة . !

ــ هذا جائز جدا . ولكنى اعجب كيف ..

فقال التديس مقاطعا :

ــ لست انكر ان الامر مدعـاة للعجب .. ولكنه جـائز على اى حـال وفى الدنيـا اشياء عجيبة منهـا استطاعة النمر السطو على بنك الاتحـاد الدولى . واستيلائه على سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه ؟ وبهذه المناسـبة دعينى أوجه اليك سؤالا هاما : اتعرفين المنازل القديمة الموجودة فى بيـكومب ؟ .

ــ المنـازل القديمة . ؟ ماذا تعنى ؟

ــ قبل ان يلفظ فرنالدو النفس الاخير اشار الى بيكومب وقال « المنزل القـديم » ولم يزد على ذلك فلا ريب ان فى هـذه القرية مكانا يعرفه النـاس باسم المنزل القـديم .

فقالت باتريشـيا مجيبة :

ــ فى هذه القرية مكانان يعرفـان باسم « المنزل القديم » أحدهما بيت مخرب مهدم يزعم الصيـادون أنه معمـور بالعفاريت والاشـباح ونوافذه موصـدة وقد سمرت فيهـا عوارض من الخشب . ومن الممكن بطبيعة الحـال ان يتخذ هذا المنزل مقرا لاحدى العصـابات تدخـل وتخـرج منـه اثنـاء الليل دون ان يشـعر بهـا احـد . وحتى اذا فرض وشـوهد أحدهم داخـلا او خارجا زعم الناس انه عفريت من الجن ! .

وهتف القديس يقول :

— انك يا باتريشيا شريكة ذات قيمة نفيسة . ! والمنزل القديم الثانى ؟ .

— أتعرف الجزيرة الصغيرة التى تتوسط الخليج ؟ .

وأومأت بيدها ناحية الشرق واستطردت :

— فى هذه الجزيرة بيت قديم يطلق عليه أهل القرية أيضا اسم « المنزل القديم » ولكنى لا أعتقد أنه مقر النمر اذ هو مكشوف عرضة للأمواج وطالما طغت عليه وغمرت طابقه الأرضى .

ووثب القديس واقفا وخرج الى المرج الواقع أمام الحصن وأرسل بصره الى حيث تقوم الجزيرة .. كانت الجزيرة على مسافة ميلين من الشاطىء، وقد قامت فيها صخور عالية تحجب المنزل القديم عن البصر .

ورجع القديس الى الفتاة وقال :

— لا شك ان فرناندو كان يعنى أحد هذين المنزلين حين ذكر المنزل القديم . ومن المحتمل جدا ان يكون النمر قد اتخذ المنزل المتخرب مقرا لعصابته يجتمعون فيه دون أن يتطرق الشك الى أحد من أهل القرية . ولعل الفكرة الشائعة بأن المنزل مسكون راجعة الى رؤية الناس أشباح رجال العصابة وهم يدخلون ويخرجون . أما منزل الجزيرة فمن الجائز ان يكون النمر قد اتخذه مخبأ للذهب وهذا فرض معقول جدا حتى يسهل عليه فى أى وقت ، ان ينقل الذهب الى باخرة تسافر به الى الترنسفال دون أن يفطن أحد الى ما حدث .. نعم .. ان منزل الجزيرة أحسن مكان لتخبئة الذهب .

ومضى القديس الى الحصن ورجع يحمل منظارا بحريا صوبه الى الجزيرة ونظر فيه برهة ثم هتف يقول :

— تماما .. لقد صح رأيى .. انظرى .

وقدم المنظار الى الفتاة .

وقالت باتريشيا :

— يخيل الى اننى أرى صاريين . !

— تماما .. باخرة ذات محرك (موتور) وبلا مدخنة .. فما سر هذه الباخرة ؟ ان البواخر القادمة من بريستول لا تقترب الى هذا الحد .. ومع ذلك فلابد من التحقق من الأمر : أهى باخرة تقصد الجزيرة ..

وأخذ المنظار من الفتاة ودخل الى الحصن وهى فى اثره . وأتى بمنضدة صغيرة وألواح من الخشب وثبت المنظار فوقها بحيث تقع الباخرة فى دائرته . وقال :

— فلننتظر خمس دقائق .. وسنرى اذا كانت الباخرة ستخرج عن دائرة المنظار مقتربة من الجزيرة أم متباعدة عنها . !

— أعتقد انهم ينتظرون هبوط الليل للاقتراب من الجزيرة ..

— نعم .. ان بلوم لم يتمكن بعد من شراء جميع أسهم مناجم ديب .. ولكن هذا لا يمنع من نقل الذهب من الآن ففى خلال الأسابيع التى ستستغرقها الرحلة سيكون قد تهيأ له شراء جميع الأسهم . هذا الى انهم يخشون ابقاء الذهب فى هذا المخبأ اكثر من ذلك بعد أن عرفوا انى بدأت أتدخل فى الأمر .

وقالت باتريشيا تسأله فجأة :

— هل الدكتور كارن بوليس سرى ؟ .

— نعم .. ولكن لا شأن لنا به .. يجب أن ينفرد كل منا بالعمل وحده !

— اذن فأنت لست شرطيا سريا .. ؟ لقد ظننت أنكما

فتناسل فضحك القديس وقال :

ــ نعم .. ان بيننا منافسة قائمة .. ولكنها منافسة ودية .. انها على اية حال ليست بالمنافسة التى تقوم بين زميلين يحترفان مهنة واحدة .. ! كلا .. انى لست بوليسا سريا .. ! انى اعمل وحدى ! .. ! ولا ابحث الا عن مصلحتى الخاصة .. ان العدالة لا تعنينى فى شىء .. ! وقد سألتنى عن مهنتى فأجيبك بقولى : انى مغامر .. ! انى رجل مهذب مثقف انشد المغامرات واقحم نفسى فيما لا شأن لى به . وارمى بحياتى الى حيث تثور الاخطار نصوص القوانين لا تعنينى فى شىء .. ! انى ابحث عن المغامرات .. ! لقد اتفق ان عثرت على فرناندو فى احدى غابات امريكا وهو يصالح سكرات الموت فأفضى الى بالسر .. فطاب لى ان اسعى الى القضاء على النمر وعصابته . ومضيت من فورى الى مقابلة مدير بنك الاتحاد الدولى فى شيكاغو وقلت له : اننى يا سيدى المدير رجل مغامر .. وها قد مضى عام كامل ورجال البوليس يجدون فى البحث عن السبائك الذهبية دون ان يكتب لهم اى توفيق ، فما رايك فى ان اتولى البحث عنها انا ايضا ؟ انك لن تخسر بذلك شيئا .. اذا لم اوفق فلن انتقاضاك بنسا واحدا .. اما اذا وفقت فسيكون لى ربع السبائك التى اعثر عليها .. فما رأيك .. ! وكان قد مضى عام كامل على وقوع السرقة ولم يكن هناك رجاء فى الاهتداء الى السبائك فقال المدير فى يأس انه تقبل شروطى : فليكن لى الربع وليكن له الثلاثة الارباع فهذا خير من لا شىء .. !

وتألقت عينا القديس واسترسل يقول :

ــ وعلى هذا النحو تتتابع حياتى : رجل مغامر لا هم

له الا السعى وراء الاخطار .. قد اكون الآن سليما معافى وقد اصبح بعد لحظات جثة هامدة .. ! وقد يكون جيبى فى هذه اللحظة مكتظا بالاوراق المالية .. وبعد يوم واحد قد اصبح فقيرا لا املك شيئا . فهل تحبين ان تصبحى شريكة لى .. ؟

وابتسمت باتريشيا وقالت :

ــ انى لن اتخلى عنك .. !

ونظر اليها القديس وابتسم :

ثم اقترب من المنظار ونظر فيه وهتف يقول :

ــ لم تتحرك الباخرة من مكانها مترا واحدا .. ! انها ليست اذن احدى البواخر العابرة . ! انهم ينتظرون هبوط الليل لالقاء المرسى بالجزيرة .

ــ اذن سيقتربون بعد الغروب . ؟

فهتف القديس فى ابتهاج :

ــ وسأكون فى انتظارهم .. وعلى ضوء القمر سأسير خلف اعوان النمر حتى اهتدى الى مقر الكنز .. ! ومع ذلك فهم على علم بحركاتى وبانى ساكون فى الجزيرة .

ــ وكيف ذلك .. ؟

ــ لانى اشرت فى حديثى مع بلوم الى البيت القديم لارى اثر ذلك فى وجهه وقد رايته يرتعد ويباغت فعلمت اننى مصيب فى ظنى وان الكنز فى البيت القديم ، ولست اشك فى انهم سيتاهبون للقائى .. !

فتمتمت الفتاة تقول :

ــ اذن فسيكونون فى الانتظار .. ؟

ــ نعم .. ومدججون بالسلاح .. ! فهل يسعد الحظ النمر فيستولى على كنزه ويقبض على عدوه .. ! ان الامر فى حاجة الى شىء من التروى والتدبر .. !

وجلس على احد المقاعد واشعل سيجارته ومضى يفكر .. لقد حشد النمر جميع قواته للنجاح فكيف السبيل الى التغلب عليه .. ان القديس مهما بلغ من براعته ودهائه وسعة حيلته ليس الا فردا واحدا ، وسيناضل عصابة كبيرة .. عصابة دموية رهيبة .. ان فى وسعه بطبيعة الحال ان يلجأ الى كارن ويستعين به .. ولكنه يكره ان يستنجد بخصمه .. !

ان فى وسعه ان يسبح الى الجزيرة اذا ما ارخى الليل سدوله فيهاجم العصابة بمفرده ويحاول ان يتخذ من الدهاء سلاحا يتغلب به على المسدسات . ولن يكون فى عونه الا خادمه هوراس وشريكته باتريشيا هولم — فهل يرجى له النجاح . كيف يستطيع ثلاثة اشخاص أن يتغلبوا على عصابة مسلحة .. ؟

على ان هذه ليست هى نقطة الضعف الوحيدة . ان النمر يعلم ان القديس سيزور البيت القديم فلا شك انه اتخذ العدة للايقاع به .. انهم سيكونون فى موقف المدافعين ، فى حين ان القديس سيكون مهاجما لا يدرى شيئا عن الفخاخ المنصوبة والكمين المدبر .. ؟

نعم .. انها مخاطرة .. جنونية .. ولكنه لن ينكص على عقبيه .

وقال القديس :

— اظن انى سأناضل حتى النفس الاخير .

— فليكن .. وانى معك ..

واسترسل القديس يقول :

— انصتى الى يا فتاتى .. مليون جنيه من السبائك الذهبية ليست بالقدر الضئيل . ان نقلها الى الباخرة يستغرق وقتا وجهدا . ولا شك ان النمر يستخدم على

الاقل ثلاثة قوارب لنقل الذهب الى الباخرة ولن يستغنى عن احد من البحارة لان عددهم قليل . فاذا ساعدنا الحظ كان الكابتن على البر لكى يتلقى تعليمات النمر . فيصبح من اهون الامور علينا اذ ذاك الاستيلاء على الباخرة .

وهتفت الفتاة :

— فكرة عظيمة .. ! فكرة رائعة .. ! ترى هل تنجح .. ؟

— ونظر اليها القديس فى حزن وقال :

— هذه يا فتاتى هى الفرصة من الوجهة النظرية .. اما من الوجهة العملية فانى لا اظنك تجيدين السباحة .. ؟

فابتسمت الفتاة وقالت :

— فى وسعى ان اسبح ثلاثة اميال دون ان يتهكنى التعب ..

— حقا .. ؟ وهل تستطيعين بعد ذلك ان تتعلقى بسلاسل الباخرة وتتسلقيها حتى تبلغى الظهر ؟ . وهل فى وسعك اذا صرت فوق ظهر الباخرة ان تتغلبى على البحار الذى يتولى الحراسة فتطرحيه ارضا .. انك امرأة يا فتاتى والمرأة لم تخلق لهذا الدور ..

فقالت الفتاة فى حزم وقد التمعت عيناها :

— سيمون .. ستجدنى لك خير شريكة .. ولن اتخلى عنك وسأعرف كيف اتصرك .

— تدبرى الامر جيدا .. اذا اخفقنا فقد تجدين نفسك اسيرة بين مخالب النمر وقد يقذفونك الى البحر طعاما للحيتان ..

— لست ابالى سأتزود بمسدسى .. وانى اعرف كيف اجيد اصابة الهدف .

وابتسم القديس وجعل يتأمل الفتاة وقال :

— وهل تعتقدين انى أرضى ان اجعلك تستهدفين لهذا الخطر . ؟

— ولم لا .. ؟ الديك سبب تبرر به ذلك ؟ .

فقال القديس فى هدوء :

— نعم .. هناك سبب قوى يرغمنى على ان لا اجعلك تتعرضين للاخطار .

— وما هو هذا السبب بالله عليك ؟ .

— حبى لك .. الا تعلمين انى احبك .

وتخضب وجه الفتاة احمرارا وقالت :

— وهل تعلم لماذا اصر على مرافقتك على الرغم من الاخطار الشديدة التى استهدفت لها ؟ .

— كلا .

— لانى احبك ! .

واعقبت ذلك سكتة قصيرة .

ثم اعقبت السكتة القصيرة قبلة طويلة .

الفصل السابع

لم تبلغ القبلة فى طولها الحد المرغوب فيه فقد دخل هوراس فجأة ليعد مائدة الغداء .. وقد رآهما متعانقين فلم يخجل ولم يتراجع وانما مضى فى عمله بلا تردد واخذ ينشر المفرش على المنضدة .

وابتعد القديس عن الفتاة على حين اخذت هى تنسق شعرها .

وقالت باتريشيا :

— انى سعيدة بمرافقتى لك فى هذه المغامرة .

— لو انك كنت على شىء من التعقل والرزانة لعدلت ورضخت لنصحى .

— قد أرضخ فى كل شىء عدا هذا . !

ولم ير القديس ما يدعوه الى الالحاح .. لقد عرف من اللحظة الاولى ان هذه الفتاة تمتاز بارادة قوية . وانها لا تعرف التراجع . ان فى خلقها كل عناصر المغامرة : عزم شديد وجراة وذكاء وسرعة خاطر . ! وكان يعرف انه سيجد فيها نعم العون .

وقال القديس يخاطبها :

— انى اريد ان تحاولى انتزاع بعض المعلومات من عمتك .

— لا جدوى من هذا .. اردت ان اتحدث اليها فابت ان تزيدنى ايضاحا .

— هذا لانك كنت بالامس ثائرة الاعصاب . اما اليوم فقد يكون فى وسعك بما اعهده فيك من يقظة ودهاء ان تستدرجيها الى الكلام فقد تفضى اليك بشىء خطير . ! ولا تنسى انها مطالبة بأن تقدم اليك ايضاحا .. وقد تبكى وقد تثور ولكنها مطالبة بهذا الايضاح على اية حال ومن حقك ان تتحدثى اليها وتستجوبيها . اما انا فليس لى هذا الحق .. ولذلك اكل اليك هذه المهمة . !

— فليكن . !

— عال . ! وعليك بعد ذلك ان تذهبى الى مقابلة القاضى لا ينج يخيل الى انه لا شأن له بالعصابة ولكن من يدرى انى اريد ان ازداد معرفة بنواياه . ! وفضلا عن هذا فانى اريد ان اعرف ما صار اليه امر عارى الدوق .

فقالت الفتاة متسائلة :

— عارى الدوق .. ؟

ـ نعم .. انه هناك رهيب حكم عليه القاضي لاينج بالسجن سبع سنوات . وقد هرب من سجنه منذ ستة أعوام . ويقول رجال البوليس ان هاري تعقب أول قاضي حكم عليه بالسجن من مدينة الى مدينة حتى حانت الفرصة المواتية فاغتاله . وقبض عليه اذ ذاك وقدم الى المحاكمة امام لاينج .. والنمر انجليزي الجنسية وكذلك هاري الدوق .. واني لأسأل نفسي ما اذا كان الرجلان شخصا واحدا .. !

ـ لو ان هاري الدوق كان في بيكومب وكان هو النمر لعرفه القاضي لاينج على الفور .. !

ـ هذا كلام يقال عن اللصوص العاديين . ان هاري الدوق من أبرع اللصوص واقدرهم على التنكر .. ومن المحتمل جدا ان القاضي لاينج يلقى هاري الدوق كل يوم دون ان يعرف انه هو اللص الخطير الذي حوكم امامه .. وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام . وهي ان النمر لم يظهر الا عقب فرار هاري .. ! فهل هناك دلالة خاصة لهذا الاتفاق ام ان الامر جاء صدفة . ! واذا كان النمر لم يظهر الا عقب فرار هاري .. ! فهل هناك دلالة على انه حاول التقرب من القاضي لاينج الذي أمر بسجنه حتى تتهيأ له فرصة للانتقام منه كما فعل بقاضيه الأول .. واني اعتقد انه لن يقدم على هذا الانتقام الا في اليوم الذي يفر فيه من بيكومب مع كنزه .. !

ولم تفهم باتريشيا ما يرمي اليه القديس حق الفهم فقالت :

ـ وما الذي تريد مني ان افعله . ؟

ـ بعد ان تفرغي من عملك اجعلنا اذهبي الى مقابلة القاضي لاينج . تلطفي في حديثك معه .. وقولي له انني اعجبك وانك تميلين الي وانك جئت تلتمسين رأيه ومشورته في شأني .. فاذا كان لاينج عضوا في عصابة النمر ادرك من كلامك اننا لم نتفق بعد واننا لسنا شركاء لما اذا كان بريئا فلن يزعجنا الامر .. تحدثي اليه عما جرى في بيت والتري كيف يعلق على الامر .. ثم حدثيه عني ..

ـ فهمت .. !

وبعد ان فرغا من تناول الطعام اخذا يشربان القهوة وهما يدرسان بعض التفاصيل الاخرى .. وقال القديس :

ـ سيمضي هوراس الى مقابلتك بعد العشاء اذ لا اريد ان يراني احد في رفقتك .. والبسي ثياب الاستحمام تحت فستانك وساعطيك منطقة من المطاط تضعين فيه مسدسك حتى لا يفسده الماء .

واخرج مسدسا صغير الحجم من جيبه قدمه الى الفتاة وهو يقول :

ـ قد ينفعك هذا المسدس كثيرا . فاذا احدق بك الخطر فلا ترددي في استعماله . واعلمي ايضا ان هذا هو مسدس بلوم . لقد امتدت اليه بالامس ونحن في بيت الدكتور كارن ثم تشلته من جيبه في نفس اللحظة دون ان يشعر .. !

ونهضت الفتاة واقفة وقالت :

ـ في اية ساعة سنجتمع مرة اخرى . ؟

ـ في الساعة الثامنة . وحاولي ان لا تستهدفي لأي خطر حتى تحين هذه الساعة . ! واحذري الناس جميعا . ان النمر ماكر وداهية . فاحذري ان ينصب لك فخا . !

واسندت الفتاة راسها الى صدره وقالت :
— وانت .. ! ما الذى تنوى ان تفعله حتى تحيى الساعة الثامنة ؟ انك تنوى ان تستهدف لجميع الأخطار ؟ .
فضحك القديس وقال :
— ان الامر بالنسبة الى مختلف جدا .. ! انى رجل مغامر والمغامرون لا يموتون فى شرخ الشباب .. ! فكونى مطمئنة .. هيا انصرفى .. والى اللقاء .
وقبل ان تنصرف وقع شىء .. شىء يقع عادة بين المحبين قبيل الفراق قبلة طويلة عميقة .
وسارت الفتاة والقديس يتابعها ببصره وهو يسائل نفسه عما اذا كان مقدرا لهما ان يلتقيا مرة اخرى ؟ . ومتى يكون هذا اللقاء ؟ .
ورجع القديس الى الحصن . وتناول خنجرا ثانيا شده الى ذراعه اليمنى ان النمر ورجاله يعرفون الان انه يشد خنجرا الى الذراع اليسرى فاذا ظفروا به بحثوا عن هذا الخنجر وجردوه منه . فليشد اذن خنجرا آخر حتى اذا جردوه من الاول اطمأنوا ولم يفطنوا الى الثانى .
ثم تزود بتلسكوب وببعض الادوات التى قد يحتاج اليها وجلس يكتب هذه الرسالة :
« اذا لم اعد فى الساعة السابعة والنصف مساء فابحث عنى فى البيت القديم الذى يقع فى ضاحية القرية بالقرب من الحانة . فان لم تجدنى هناك فابحث عنى عند بلوم وبيتى .. لا تخطر كارن ولا تستنجد به الا اذا دعت الى ذلك الضرورة القصوى .. واذا قتلت فاحذر لنفسك ؛ اعلم انهم سيقتلونك انت ايضا .
وطوى القديس الورقة وكتب عليها اسم هوراس ووضعها على المنضدة بحيث يراها خادمه عند عودته .

ثم غادر الحصن متجها الى القرية .
سلك القديس الطرق المهجورة حتى لا يلفت الى نفسه الانظار . وانتهى اخيرا الى البيت القديم . ولاحت له النوافذ — كما قالت باتريشيا — مغلقة وقد سمرت فيها عوارض خشبية .
وكان من الخطر والحماقة ان يقترب من البيت علانية .. ما يدريه ان رجال العصابة فى انتظاره هناك فاذا ما راوه مقبلا اطلقوا عليه النار من فجوات النوافذ ؟ .
انبطح القديس على الارض وسط الحشائش والاعشاب النامية ومضى يزحف صوب الدار كأنه حية رقطاء .. ! ولم يكن يجهل الخطر الذى يستهدف له . ولكن ما العمل .. ولا سبيل للوصول الى البيت غير هذه الطريقة .
وانتهى القديس اخيرا الى الدار .
واخرج التلسكوب من منطقته وسدده الى قفل الباب وجعل يفحصه لم يكن بمجرى المفتاح اثر للصدا .. ! كان لامعا متألقا من الداخل .. وهذا الدليل على ان الباب فتح منذ اقل من ثمان واربعين ساعة والا لعلاه الصدا . اذن فقد زار النمر البيت .
مد القديس يده ودفع الباب .. فاذا هو يتحرك .
ووثب القديس الى الخلف واستبقى الباب مكانه .. ! يا للعجب ! ان الباب غير موصد بالمفتاح .. ! فلماذا ؟ انهم يحاولون ان يمهدوا امامه سبيل الدخول .. فلماذا ؟ هناك كمين بلا ريب .. ! لا شك ان رجال العصابة فى انتظاره فى الداخل فاذا ما فتح الباب وبدا على عتبته انتظمت جسمه عشرات من الطلقات النارية .
ورفع القديس بصره وجعل يتأمل النوافذ .. كانت كلها موصدة . ولا سبيل الى الدخول منها .. لابد من ان

يدخل من الباب اذن . ! وقد يكون اعداؤه رابضين فى الدهليز فى انتظاره .

تناول القديس غصنا من شجرة قريبة وانبطح على وجهه عند الباب وجعل يدفعه بالغصن .. رويدا .. رويدا .. وانفرج الباب نصف قدم ثم قدما .. ولم يحدث شىء .. !

وفجأة دوى انفجار شديد .. !

واصاب الغصن جسم صلب فكسره .. ! وكانت الاصابة فى نفس الموضع الذى يمكن ان يكون فيه صدر انسان يتخطى العتبة .. !

هذا هو الدليل الحاسم . لقد نصب له كمين .. !

ولم يكن هناك مجال للانتظار .. ان بقاءه فى الخارج فى فجوة الباب يجعله اكثر تعرضا للرصاص .

ووثب القديس الى الداخل . واغلق الباب خلفه .. وانزوى فى الظلام .

ارهف اذنيه فلم يسمع صوتا .. كان يتوقع ما بين لحظة واخرى ان يسمع دوى رصاص جديد .. او وقع اقدام لرجال العصابة وهم يحاولون الانقضاض عليه . ولكنه لم يسمع شيئا من هذا .

وتتابعت الدقائق وهو رابض فى مكانه لا يتحرك . ولم يكن ثمة مدعاة للانتظار .. فاشعل عودا من الكبريت واطفاه على عجل وانتقل من مكانه خطوة .

وعلى ضوء العود رأى على منضدة فى مواجهة الباب بندقية صغيرة الحجم .. واشعل عودا ثانيا .. ورأى اسلاكا كهربائية تصل بين البندقية والباب .. اذن فلم يكن رجال العصابة فى انتظاره . ! لقد ثبتوا البندقية على المنضدة واوصلوها بالاسلاك .. فاذا ما فتح الباب

تحرك السلك ومست الدورة الكهربائية وانطلقت البندقية .. وكانت فوهتها مصوبة الى صدر الشخص الذى يتخطى عتبة الباب .

يا لها من حيلة . ! ولكن القديس بدهائه وحذره استطاع ان يحبط هذه الخطة .

ورأى فى الردهة ثلاثة ابواب .. وكان احدها مواربا فسار اليه القديس .. وانبطح على الارض كما فعل فى المرة الاولى ودفعه بقدمه .. ولم يحدث شىء . !

ولبث مكانه يصيخ السمع . ثم دخل الغرفة واضاء عودا من الكبريت فالفاها خالية .

يا للعجب . ! ولكنه رأى بابا فى صدرها . وسار الى هذا الباب وفجأة عرف الكمين المنصوب .

ما تقدم القديس خطوتين فى هذه الغرفة حتى شعر ان الارض مادت تحت قدميه .

انهارت الالواح الخشبية تحت ثقل جسمه وخيل اليه انه بدا يهوى الى هاوية سحيقة لا قرار لها .

الفصل الحادى عشر

يعد الدكتور كارن من رجال بوليس اسكوتلانديارد الممتازين . قد يكون حقيقة غير موفور الذكاء وقد يكون قليل الحيلة محدود الدهاء . ولكن الأمر المؤكد انه شديد المثابرة . وانه يستطيع بهذه المثابرة ان يصل الى تحقيق الهدف الذى يرجوه وان امتد به الزمن وطال .

ومن اجل هذا عهد اليه رؤساؤه بمطاردة النمر .

وهو فى ابحاثه لا ينهج نهج شرلوك هولمز . وليست له قدرته على التخريج والاستنتاج . ولا يحب ان يعمد الى

الفروض . انه رجل علمى بطىء فى تصرفاته . ولكنه يعرف كيف ينجح .

ولقد هبط كارن قرية بيكومب فى اثر النمر . وجعل يدرس ويدرس ويضع الخطط ، ويحاول ان يكتشف شخصية هذا الزعيم الخفى .. وتستر بشخصية الطبيب واتخذ من صيد الفراش وسيلة الى التجول فى كل مكان دون ان يرتاب فيه مخلوق .

وفجأة هبط القديس القرية ، وكانت بينه وبين كارن معرفة سابقة .. وكره كارن ان يتدخل القديس فى الامر .. كان يعرف انه ممتاز بالجرأة والذكاء وسرعة العمل وانه لكى يهاجم بيتا فلابد له من استصدار امر من القاضى ، اما القديس فيستطيع ان يسطو على البيت بلا تردد ويكسب وقتا .

ومع ذلك فلقد كان لكارن فضل السبق على القديس .. لقد جاء القديس الى القرية منذ ثلاثة ايام اما كارن فجاء اليها منذ ثلاثة شهور .. وفى خلال هذه الشهور الثلاثة استطاع ان يبحث ويدرس . فهو من هذه الناحية لا يخشى ان يتفوق عليه القديس . اذ مهما بلغت سعة حيلته ودهائه وذكائه وقدرته على الاستنتاج فلن يصل فى ثلاثة ايام الى ما وصل اليه كارن فى ثلاثة شهور .

وفى غضون هذه المدة راقب منزل سير جون بيتل وعرف انه يستخدم من الخدم جماعة من المجرمين المشبوهين ، وراقب ماتز بلوم ولم يغب عنه حركاته الخفية ومناوراته اما اجثا جيرتون فقد اخذته الريبة فى امرها ولم تكن له فيها ذرة من الثقة . وكان يعتقد ان لهؤلاء القوم صلة بالعصابة ولكنه لم يكن يدرى كنه هذه الصلة على وجه التحقيق .

اما الجى لوماس كوبر فكان فى رايه مثالا للبلاهة والسذاجة وكان يعتقد انه شاب لا يصدر عنه شر .. وكذلك كان رايه فى الموظفين السابقين وفى القاضى سير لاينج .. وفى الوقت الذى كان فيه القديس يحذر جانب القاضى كان كارن قد زاره وقدم اليه نفسه عند قدومه الى القرية وكاشفه بمهمته حتى اذا جاءت اللحظة المناسبة امكنه ان يستصدر من القاضى امرا بالقبض على النمر وعصابته اذ كان السير لاينج قاضيا للسلام فى القرية (كقضاة الخط عندنا) .

ولكن الشىء الذى كان يجهله كارن ويعلمه القديس : هو حكاية فرناندو والمنزل القديم .

وكان كارن فى ابحاثه يستعين باجهزة الالتقاط اللاسلكى .. كان يعلم ان النمر زعيم قدير وانه قد امضى الشطر الاكبر من حياته فى شيكاغو ولا شك انه — على طريقة الامريكيين — اخذ يستعين باحدث الالات العلمية .

ومن اجل هذا اتى كارن بجهاز لاسلكى للالتقاط ومضى يجربه يوما بعد يوم دون ان يوفق الى ثمرة مرضية .

وفى احد الايام ادرك من اهتزاز ابر الالتقاط ان هناك موجات كهربائية تصدر من القرية ولكنه لم يكن يدرى طولها او مصدرها . على ان الامر الذى لم ير فيه شك هو ان النمر هو صاحب هذه الموجات .

ولكن النمر كان حريصا ، موفور الذكاء ، ولذلك كان دائم التبديل فى اطوال الموجات حتى يجعل التجسس على احاديثه شبه مستحيل . ولكن كارن استطاع بالمثابرة ان يعرف الاطوال المختلفة التى يستعملها النمر . فاذا ما سمع حديثا يدور اسرع يجرب الاطوال المختلفة واحدة بعد الاخرى حتى يقع على الطول المناسب ، ولكنه لا يصل الى

ذلك الا كان النمر قد انتهى من حديثه .

وبعد ظهر اليوم التالى لوقوع حادث القديس وبلوم فى داره اخرج الدكتور كارن جهاز الالتقاط من مخبأه السرى وثبت السماعات على اذنيه ومضى يستمع .. وكانت الابرة تهتز . اذن فهناك حديث يدور .. واسرع يختبر الموجات المختلفة حتى وقع على الموجة المناسبة وسمع هذا الحديث يدور بين النمر ورجاله :

سمع صوتا يقول :

— لا تقترب من الجزيرة الا عند هبوط الليل .. اطفىء الانوار كلها .. واقترب ببطء .. واستعمل المحرك الكهربائى . ولا تصدر الا اقل صوت ممكن .. ان سيمون حاد السمع .

وقال صوت آخر يسأله :

— ايمكنك أن ترشدنا . ؟

— سيرشدك احد اعوانى بواسطة ضوء اخضر ستراه عند البيت القديم .

— اتعتقد ان هناك شيئا من الصعوبة ؟ .

— لست ادرى .. انى ارجو ان اتخلص من سيمون الليلة . ولكن لا تنسوا انه داهية اريب وانه قد يفلت منا . وقد دبرت الامر لتضيع هذه الصغيرة باتريشيا . فانها فتاة عنيدة وقد تخطر البوليس وتطلقه فى اثرنا . ومهما يكن من الامر تكن على اتم الاستعداد واتخذ كل الاحتياطات الممكنة .

— طبعا .

— هل بحارتك موجودون جميعا .. ؟

— ينقصنى اثنان من الوقادين .. انهما فى الحانة اذ افرطا فى الشراب واستحال سيرهما .

— اذن فلديك احد عشر رجلا .. ؟ ايكون .. ؟

— نعم ايها الرئيس .. !

— اصغ الى .. فى نحو الساعة العاشرة سيكون الصيادون منهمكين فى الصيد فيمكنك ان تبدأ العمل .. وسيكون بلوم وبيتل معى . وربما سيمون ايضا . اذ يتوقف هذا على ما ننوى ان تصنع به اما خادمه هوراس فسنقذف به الى الهاوية من قمة الجرف . اما الفتاة فقد تأتى بها الى الباخرة .

وهنا قال الصوت الآخر :

— هذه يا رئيسى أول مرة تأتى فيها بفتاة على ظهر الباخرة ؟ . ألا تخشى أن ..

فقاطعه النمر فى خشونة قائلا :

— هذا شأنى يا ماجز .. ! ولم اسألك المشورة حتى تدلى الى برأيك اعد المقاصير كلها وارسل الزورق الى الرصيف فى الساعة العاشرة اما القوارب الاخرى الثلاثة فتتولى نقل الشحنة من المنزل القديم . ويكفى ان تدع على ظهر الباخرة الميكانيكى واحد البحارة للقيام بالمراقبة . ونبه على رجالك بأن يلزموا السكون على قدر الامكان .. وسأظل انا وبعض الرجال فى الجزيرة .. ويجب ان تفرغ من نقل الشحنة قبل الساعة الرابعة ..

— اعتمد على ايها الرئيس .

— حسنا .. هل فهمت كل شىء ؟ .

— كل شىء .

— اتصل بى فى الساعة السابعة فقد يعن لى رأى جديد .. الى اللقاء ..

وسكت الصوتان . وانقطعت الموجات الكهربائية .

ورفع كارن السماعتين عن أذنيه . وكان اسعد الناس ء

لقد عرف الشيء الكثير من اسرار النمر . وسمع صوته ، ولكن ما فائدة سماعة هذا الصوت ؟ . انه لم يكن يجهل ان التيارات الكهربائية تغير من معالم الأصوات ، وان هناك بلا ريب فرقا كبيرا بين الصوت الذى سمعه وصوت النمر الحقيقى .

وكانت هناك معلومات جديدة فيما سمعه لا علم له بها من قبل .. المنزل القديم .. ! والجسزيرة .. ! والباخرة لا شك ان المقصود هو تلك الجزيرة الصغيرة القائمة فى وسط الخليج . ! ولا شك ان فيها منزلا قديما . وانها معروفة بهذا الاسم على الأقل ، والشحنة التى ستنقل الى الباخرة فى جوف الليل لابد ان تكون السبائك الذهبية المسروقة .

لقد انكشف امامه السر الخفى ، فى هذه الليلة سيتحقق الانتصار الاكبر المرجو : النمر وبيتل وبلوم وافراد العصابة جميعا .. والسبائك الذهبية .. كل هذا سيكون فى متناول يده . ! فى الجزيرة .

اذن فالنمر ينوى ان يقتل القديس وخادمه ؟ لقد ضايق هذا الأمر كارن . ! ان واجبه يقضى عليه بأن يخطر القديس بالأمر ويحذره .. ان القديس ليس عدوا له ، ولم يعهد اليه احد من رؤسائه بمطاردته . وقد خبر القديس طويلا وعرف انه شهم نبيل ، وهو بعد رجل لا يحب سفك الدماء كلا . يجب ان يخطره ويحذره .

وهنا تراءت له المشكلة الكبرى : كيف يهاجم النمر وعصابته وهو فرد واحد وهم كثيرون . لابد اذن من الاستعانة بنجدة من رجال البوليس ، والوقت ضيق لا يتسع للتردد . ! وليس فى القرية كلها الا تليفون واحد

موجود فى الحانة وفى مكان اذا دار فيه حديث سمعه كل من فى الحانة .

.! العمل اذن . لابد من ذهابه الى القرية المجاورة والاتصال منها بمركز البوليس . ذلك هو السبيل الوحيد .

واسرع كارن الى الحانة وقال لصاحبها :

— ان لى صديقا يقيم فى مدينة فراكومب المجاورة ، وقد جاءنى رسول من قبله الان يخطرنى بانه اصيب بنوبة حادة فلابد من ذهابى اليه لأعوده فهل لك ان تعيرنى سيارتك الفورد ؟

فقال صاحب الحانة معتذرا ؟

— لا احب الى من ذلك ، ولكن اثنين من خدم سير جون استعارا السيارة فى هذا الصباح وذهبا الى المدينة .

— ومتى سيعودان ؟ .

— لست ادرى ، ولكنى اعتقد انهما لن يرجعا الا فى الغد .

— اظن ان لدى هيريك عربة ذات جواد ؟ .

— نعم ..

— اذن اوفد اليه من يأتينى بها . وعجل بالله والا مات صديقى قبل ان اصل اليه .. !

واوفد صاحب الحانة احد غلمانه الى هيريك ليأتى بالمركبة . وحمل الى كارن قدحا من البيرة .

وقد ساء كارن ان لا يجد السيارة الفورد . انها نكبة بلا شك . ان الوقت ضيق . وقد يصل بعد فوات الوقت . !

وخطر له أن يستعين بالقديس . ! ولكن لا .. انه يريد

أن يعمل بمفرده مهما كان الامر . كيف تطاوعه كرامته على أن يستعين بالقديس . ؟ هذه مهانة لا يحتملها . .

حمل اليه صاحب الحانة قدحا آخر من البيرة .

وكلما تتابعت الدقائق شعر كارن بالغضب يشتعل في صدره ويتملكه . ! يالشيطان . ! لقد حانت ساعة الانتصار . النمر وعصابته والسباتك . ومع ذلك يجد نفسه مكتوف اليدين بهذا الشكل لحاجته الى نجدة . ! وما العمل اذا لم يجد حتى هذه المركبة ذات الجواد الاعرج البطيء . !

ونهض كارن قائلا انه سيعود بعد قليل ومضى الى الحصن لابد له من اخطار القديس بالخطر الذي يتهدده .

وحين اقترب من الحصن برز اليه هوراس مقطب الجبين بادي الفتور ولا عجب فقد كان هوراس يمقت جميع الشرطة السريين مهما اظهروا من التودد والملاطفة .

وقال كارن يسأله :

ــ هل مستر سيمون موجود . ؟

ــ كلا . .

ــ اتعرف مكانه . ؟

فنظر هوراس الى الشرطى نظرة غيظ مكتوم وقال في خشونة :

ــ لا اعرف . . انه يتريض . . ومن المحتمل انه ذهب الى الغابة ليصيد الابسال والخرتيت والسباع ؟ من يدري . !

فقال كارن وقد بدا الغضب يستولي عليه :

ــ اسمع يا بنى . . اننى لم اتسلق هذه الربوة العالية لالهو . ! لقد جئت اقابل سيمون لامر خطير . اعلم أن النمر قد عول ان يقتلك ويقتل سيدك الليلة . وقد

جئت لالقى اليه التحذير فاذا كنت على علم بمكانه فاخطره بقولي هذا . ! لقد اديت واجبى فعليك أن تؤدى واجبك .

وصعد هوراس الشرطى بنظرة فاحصة وقال :

ــ في هذه الحالة . .

ومد يده الى جيبه وابرزها فاذا فيها مسدسه الضخم . . وصوبه الى كارن . . فصاح هذا :

ــ يا لك من غبى ! . ما فائدة هذا الرأس . ؟ الم يجعل الا لتعليق القبعة . ؟ اليس فيه مخ يفكر . ؟ يجب أن تفهم انى جئت لكى انقذ سيدك . ! ها انذا أصرح بأن النمر قد عول على الفتك بكما الليلة . ! النمر . ! افاهم انت . ؟ انك تعرفه بلا ريب .

ــ اذن اذهب الى النمر وقل له اننى ومستر سيمون في انتظاره الليلة لنقدم اليه قدحا من الخمر . !

ــ يا لك من احمق . ! ابحث عن سيدك . . وانقل اليه كلامى . والا كنت انت الجانى على نفسك وعليه .

واستدار على عقبيه ومضى .

وما بلغ الحانة حتى رأى المركبة مقبلة فاستقلها وامر السائق الذى يتولى قيادتها بأن يمضى به الى تراكومب بأقصى سرعة ممكنة .

وبينما كانت المركبة تطوى به الطريق ذكر انه نسى أن يخطر مس عولم ويحذرها . . ولعن نفسه لهذا السهو . . ولم يكن في وسعه ان يرتد ثانية الى القرية .

وبلغت بهما المركبة حدود القرية حيث يقوم التل . . وفجأة سمع دويا شديدا . فنمت اساريره على الدهشة ونظر في ساعته .

ولاحظ السائق ذلك فقال ضاحكا :

لا تفزع .. هذا مستر توماس كوبر يصيد الارانب على عادته كل يوم .

فقال الشرطي :

ـ آه .. طبعا .. طبعا .. !

ولكن كارن كان يعلم في قرارة نفسه ان هذا ليس صحيحا ان الدوي ليس صادرا من ناحية الغابة ..

وفضلا عن هذا فلم يكن دوي بندقية صيد .. !

الفصل الثاني عشر

وصلت باتريشيا الى القصر وفي نيتها أن تستجوب عمتها ـ كما اوصاها القديس ـ وتحاول أن تستدرجها في الحديث لتعلم أن مس جيرنون قد خرجت لتريض وانها لم تعد بعد .

وخطر للفتاة أن تمضي الى مقابلة القاضي لاينج ريثما تحضر عمتها من نزهتها .

ووجدت القاضي في حديقته منهمكا بتنسيق النباتات وتشذيبه فلما رآها اقبل عليها مشرق الوجه وقال :

ـ أهذه انت يا عزيزتي مس هولم ؟ انى لم ارك منذ امد طويل .. ؟ كيف حالك ؟ .

ـ على ما يرام .. وانه ليخيل الى انك اوفر شبابا مما اعهد .

فضحك القاضي وقال :

ـ حسبك .. ! حسبك .. ! هذا الثناء لا يخدعني .. ! لقد اصبحت عجوزا طاعنا لا حيلة لي ازاء شبان الحصون الموفوري الشباب .. !

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ لقد جئت انشد رايك يا سير ميشيل .. وقد يجرنا الحديث الى الكلام عن شبان الحصون .

ـ حقا .. اذن ادخلي يا ابنتي .. لقد تجاوزت سن الشباب فلا رجاء لي في أن استميل قلبك الي .

ولما احتواهما صالون الاستقبال قال القاضي :

ـ ومتى يمكن يا ترى أن نتقدم بالتهاني الرسمية .. ؟ ان هذا الشاب سيمون ظريف جذاب .. وقد بلغني انه استولى على قلبك .

وقالت باتريشيا وقد سرها أن يطرق القاضي هذا الموضوع من تلقاء نفسه :

ـ قبل ان اتخذ قرارا نهائيا في هذا الامر احب ان اسالك رايك في مستر تمبلار .. ؟

ـ ورأى عمتك .. ؟

ـ لقد كاشفتني به .. ولكني في حاجة الى رايك انت .. ؟

وهز لاينج راسه وقال :

ـ هذه مسئولية جسيمة .. ان الكهول قد يخطئون وقد يصيبون شأن سواهم من الناس .. واعلمي ايضا انه قد يكون من مصلحة بعض من تطلبين مشورتهم ان يفسدوا ما بينك وما بين مستر تمبلار حتى يظفروا بفتاة حسناء مثلك .

فضحكت باتريشيا وقالت :

ـ ولكن لكي يتمكن أي رجل من الاستيلاء على قلبي والحلول محل سيمون يجب أن يكون ارشق واظرف من سيمون .. ومثل هذا الرجل لم يخلق بعد .. واني اعتذر اليك يا سير ميشيل .

فضحك القاضي وقال :

— ارجوك ان لا ترددي هذه النغمة كثيرا والا اغريتني بالانتحار .. ؟

فابتسمت باتريشيا وقالت :

— ارجوك على الاقل ان لا تنتحر الا بعد ان تتقدم الى قدحا من الشاى ورايك فى سيمون .

فقال سير لاينج :

— اتجدين فى قولك .. ؟

— كل الجد .. انك حكيم متزن الراى . ولنصحك عندى مكانة محترمة .

وسكت القاضى برهة ثم قال :

— انى اعتقد انك اخبر منى بمستر تمبلار .

— انهم يذيعون عنه اشاعات كثيرة .

فهز القاضى كتفيه بلا اكتراث وقال :

— انك ان تعثرى على قرية لا تطير فيها الاشاعات العجيبة عن اى غريب ينزل فيها ؟ .

— ولكن الامر ليس قاصرا على مجرد الاشاعة .

— ماذا تعنين ؟

وقصت عليه باتريشيا حوادث الليلة الماضية : شروط بيتل واعتراف مس جيرتون ، وتدخل القسيس فى الامر وماحدث فى بيت الدكتور كارن ، الخ وجملة القول انها قصت عليه كل شىء عدا انها اصبحت شريكة لسيمون تمبلار وانه عهد اليها بمقابلة القاضى .

واذ فرغت الفتاة من حديثها اخرج سير ميشيل منديلا من جيبه مسح به جبينه وقال فى هدوء :

— ان ما رويته لى يصلح ان يكون قصة جميلة !

— ولكنه الحقيقة بعينها ، لقد حدث كل هذا بالامس ..

فى بيكومب .. ولكن خبرنى . اتعتقد ان مستر تمبلار شرطى سرى ؟

فهز الكهل راسه وقال :

— لو انه كان شرطيا لما نهج هذا المسلك .

— اتعنى انه مغامر .. ؟

— نعم . ومغامر جرىء . وشريف .

ونظرت اليه الفتاة مستفسرة وقالت :

— انك تمزح . ارجوك ان تكاشفني برايك .

وابتسم لاينج وقال :

— وما الفائدة ؟ انك تحبين سيمون او لا تحبينه ، ؟

— بل احبه .

— اذن فرايى لن يجعلك تعدلين عن موقفك . هل اجدت النصيحة يوما فى تحويل القلب عمن يحب ؟ اذا ابديت ثقتى بهذا الشاب فستتعلقين بعنقى وتقبلينني شاكرة . واذا كاشفتك بريبتى فيه قلت عنى اننى مجنون ! وتعلقت بعنقه هو وقبلته واقسمت له انك ستظلين مقيمة على حبه على رغم راى الناس فيه ! اليس كذلك ؟

— يجوز .. ولكنى لازلت مصرة على طلب المشورة .

وسكت سير لاينج برهة ثم قال :

— اذن اعيرينى سمعك .. فى غضون حياتى كقاض التقيت بثلاث طوائف من المجرمين . طائفة نشأت فى بيئة ساعدت على تنمية ما فى نفوسهم من بذور الشر والنذالة .. وهذه الطائفة شريرة حقيرة سافلة . ومن الجلى ان مستر تمبلار ليس من افراد هذه الطائفة .. اما الطائفة الثانية فافرادها اذكياء دهاة ولكنهم ضلوا السبيل بحكم الظروف . ولابد لهم فى يوم من الايام من ان ينضموا الى الطائفة الاولى أو يندموا ويتوبوا .. وسيمون ليس من هذه الطائفة لان

افرادها يتميزون بكثرة التردد .. أما الطائفة الثالثة فأفرادها هم المغامرون .. شرفاء ذوو شهامة ونبل .. ولكنهم مولعون بحياة الفرسان التى كانت معروفة فى القرون الوسطى .. وهؤلاء القوم محبون للبساطة والصراحة .. واذا ضحكوا ضحكوا من اعماق قلوبهم .. ! ولكن روح المغامرة قد تدفع بهم على رغم نبلهم وشرفهم الى الانزلاق فى مهاوى الجريمة .. انهم رياضيون بكل معنى الكلمة .. ومن هذه الطائفة مستر تمبلار .. ! وهذه هى خلاصة رأيى فيه . فهل يرضيك هذا الرأى .. ؟

— انك حصيف الرأى يا سيدى . وانى سعيدة بأن آراءك تشاطرنى عقيدتى .

واسترسل القاضى يقول :

— والرأى عندى أن تكاشفى سيمون بما فى نفسك . فلماذا كان من الطائفة التى ذكرتها كاشفك بمكنونات صدره فى غير تردد . ألم يفض اليك بشىء مما فى نفسه .. ؟

— ماذا تعنى .. ؟

— الم يحدثك مثلا عن البواعث التى حملته على سلوك هذه الخطة الغريبة بالأمس .. ؟

— لقد سألنى أن أروض نفسى على الصبر وأن أوليه ثقة تامة .. وقال ان من الخطر على أن أعرف سر هذه المغامرة .. ووعدنى بأن يكاشفنى بكل شىء اذا ما قضى على عدوه الرهيب .

— ومن هو هذا العدو الرهيب .. ؟

— ان مستر سيمون يلقبه بالنمر .

وقطب سير ميشيل لاينج جبينه برهة ثم قال :

— النمر .. ؟ انى اذكر هذا الاسم .. ! أليس هو زعيم تلك العصابة التى سطت على بنك الاتحاد الدولى فى شيكاغو

وسلبته سبائك ذهبية تساوى مليونا من الجنيهات .. ؟

فهزت باتريشيا رأسها وقالت :

— لست أدرى .. ! لم اقرأ شيئا من هذا الحادث .. ؟

— اظننى لست مخطئا .. ولكن الشىء الذى يدهشنى أن يحضر زعيم عصابة الى هذه القرية الموحشة المنسية .

فابتسمت باتريشيا وقالت :

— وما الداعى للاستغراب .. ! الم اقص عليك الآن حكايات عجيبة وقعت فى نفس هذه القرية الموحشة المنسية .. ؟

ووضع القاضى يده على ذراع الفتاة ونظر اليها طويلا .. وخيل اليها أن فى نظرته تهكما وسخرية .. وعجبت للأمر .. !

واسترسل القاضى يقول :

— أولى بنا أن ندع هذا البحث جانبا لأننا لن نصل الى نتيجة حاسمة والرأى عندى أن تتبعى وحى القلب .. والآن وقد فرغنا من هذا الحديث يمكننا أن نعد الشاى .

ونهض واقفا وترك الفتاة وحدها وسار الى البيت .

واغتبطت باتريشيا بهذا الحديث الذى دار بينها وبين سير ميشيل انها تستبعد أن يكون هذا الرجل النبيل الوجه الرقيق الحديث عضوا فى عصابة النمر .. أيكون لصا قاتلا سفاكا وله هذه الابتسامة الصافية المخلصة .. ؟ ومهما يكن من الأمر فان هذا الحديث كفيل بأن يبعد عنها أذى العصابة اذا كان سير لاينج من أفرادها .

وبعد دقائق قليلة برز سير لاينج من البيت يحمل اناء الشاى والاقداح .

وفجأة طاف خاطر رهيب بذهن الفتاة .. ربما كان سير لاينج من أعضاء العصابة .. بل ربما كان النمر نفسه .. وفى هذه الحالة ما يدريها انه دس لها فى الشاى سما او منوما .. ! ؟

وارتعدت الفتاة ولم تدر ماذا ينبغى أن تصنع .. ؟ اتشرب الشاى المسموم .. ؟ ولكن لا .. ان سير لاينج لا يمكن ان يدس لها السم فى الشاى . اذا كان من رجال العصابة فلا شك انه استنتج أن الفتاة انما جاءت اليه بإيعاز من القديس . فكيف يقدم على اغتيالها او اختطافها وهو يعلم ان القديس له بالمرصاد .. ! ؟

ونفت الخوف من صدرها واستقبلته بوجه باش وقالت :

ــ دعنى احمل عنك اوانى الشاى ..

ــ كلا يا ابنتى .. انى احب ان اقدم الشاى بنفسى الى ضيوفى .. !

واحتست الفتاة قدحها ثم نهضت تستأذن فى الانصراف. فقال لها :

ــ ابهذه السرعة .. ؟

ــ لقد وعدت عمتى بأن اعود قبل موعد العشاء اذ ينبغى ان نتبادل الرأى فيما حدث .

فقال القاضى فى لهجة حزينة :

ــ ليت فى وسعى ان اعبر لك عن مبلغ اسفى لهذه النكبة المالية ولكننى ارجو ان تعودى الى زيارتى مرة اخرى. فقد يسعنى ان اسدى اليك شيئا من المعونة او النصح .. واكون سعيدا اذا اصطحبت مستر تمبلار معك .

ــ سأحاول .

ــ شكرا .

وتحولت الفتاة للانصراف . ولكن حين بلغت باب الحديقة تحولت اليه فجأة وقالت :

ــ وعلى فكرة كيف حال هارى الدوق .. ؟

ولبث القاضى جامد الوجه لم يخالجه الا طيف من الدهشة السريعة وقال فى حيرة :

ــ لماذا توجهين الى هذا السؤال .. ؟

ــ لقد اخبرنى مستر تمبلار انك حكمت على هذا اللص بالسجن مدة طويلة وان من المحتمل جدا انه سيسعى الى الانتقام منك .

فقال لاينج مؤمنا :

ــ انى اذكر فى الواقع ان سيمون اشار فى حديثه معى الى هذا اللص منذ اول مقابلة جرت بيننا .. نعم .. لقد حكمت على هارى الدوق بالسجن سبعة اعوام . وما سمع هذا الحكم حتى اقسم فى ساحة المحكمة على انه لابد ان يقتلنى يوما من الايام .. ولكنى لا ابالى فطالما سمعت مثل هذه التهديدات . !

لقد فاجأته باتريشيا بهذا السؤال ولكنه تلقاه فى هدوء والقى اجابة طبيعية .. انه لا يذكر هذا اللص الا كما يذكر اى قاض اى لص حكم عليه .. لو ان القاضى لاينج كان ذا علاقة بهارى الدوق . او بالنمر اذا كانا شخصا واحدا ــ لبدا على وجهه اثر هذا ولحاول ان يكتم احساساته ومشاعره . ولكن ها هو ذا وجهه يبدو كالصفحة النقية الطاهرة .

وغادرت باتريشيا المكان وهى موقنة من ان القاضى لاينج برىء وأن لا شأن له بالعصابة . وان كان الشىء الذى ادهشها هو نظرة التهكم التى كانت لاتنى تراها فى عينيه .. لماذا يهزأ بها . ! لماذا يتهكم عليها .. سؤال بلا جواب .

وفى طريقها الى « النمر » طاف بذهنها هذا الخاطر .. اذا لم يكن لاينج هو النمر فمن يكون اذن . مستحيل ان تكون عمتها مس جيرنون هى النمر . ! ؟

الفصل الثالث عشر

فزعت باتريشيا اذ طاف هذا الخاطر بذهنها . ! مس جيرتون هي النمر . ! ان هذا جائز جدا . ! ان في حالة مس جيرتون طباع الرجال .. ولها سلوكهم . ! وهذه الرحلات الطويلة التي كانت لا تفتأ تقوم بها .. لقد سافرت الى افريقيا .. طبعا لتتفقد مناجم ديب . ! ومن المحتمل جدا انها سافرت ايضا الى امريكا . ! من يدرى .. انها تزعم انها تقيم في الريفييرا ولكن ما الذى يمنعها من ان تقوم برحلات قصيرة الى امريكا .

اذن فالنمر امراة . ! امراة ذات عزم كعزم الرجال .

وتريثت باتريشيا برهة عند باب القصر . اذا كانت عمتها هي النمر فكيف يطاوعها قلبها على أن تقذف بنفسها الى عرين النمر !

وتشعبتها الظنون .

ولكن في سبيل القديس يجب ان تستجمع كل شجاعتها . في سبيله يجب ان تقوم بالمهمة التي تكفلت بها .

ان مس جيرتون ترتاب الآن فيها . وتعلم انها شريكة لسيمون ، ومن المحتمل انها اتخذت العدة للايقاع بها . فهل من الحماقة ان تتخطى العتبة وتدخل ؟ هل من الخير ان تفر الى الحصن وتنجو بنفسها ؟ كلا . لو انها فعلت ذلك لاستحمقها القديس ولرماها بالجبن . كلا .. ستدخل ... وستواجه الاخطار كلها . في سبيل الرجل الذى تحبه . انها ما كانت لتتخلى عنه منذ الخطوة الاولى .

وفتحت باتريشيا الباب ، وتلقتها الخادمة بقولها :

— نعم . لقد رجعت مس جيرتون من نزهتها وهي الآن في قاعة الاستقبال .

ومشت باتريشيا الى القاعة وادارت المقبض . ولكن الباب لم ينفتح كأنه مغلق بالمفتاح من الداخل .

وسمعت صوت عمتها تقول :

— من هناك ؟

— انا باتريشيا هولم .

— ليس في وسعى ان استقبلك الآن .

فقطبت الفتاة جبينها وقالت :

— ولكنى أريد أن أتحدث اليك في امر هام ..

— انى مشغولة . بعد قليل من الوقت سأستدعيك اذا كنت موجودة في الدار .

ولم تر باتريشيا ما يدعوها الى الالحاح .. كانت تعلم ان عمتها شديدة العناد . ولا سبيل الى ارغامها على فتح الباب ، ولكنها اخذت تسائل نفسها عن السر في ذلك . لماذا اوصدت اجثا الباب على نفسها . ؟ اي سر هناك ؟

وصعدت الفتاة الى مخدعها .. ان الوقت ضيق .. ان القديس لا يلبث ان يوفد اليها موراس لمرافقتها .. وهي تكره ان تمضي الى لقائه قبل ان تنجز المهمة الموكولة اليها .

وخلعت الفتاة فستانها ولبست ثياب الاستحمام وتمنطقت بمنطقة المطاط بعد ان اودعتها مسدسها .

وفجأة سمعت جلبة حديث صادرة من قاعة الاستقبال التي تقع تحت غرفتها مباشرة . اذن فعمتها لم تكن وحدها . ؟

واقتربت الفتاة من النافذة واطلت منها وهي تصيخ السمع . هذا هو صوت عمتها . وهذا صوت آخر لا عهد لها به من قبل . ! ولكن ما الذى يدور بين هذين الصوتين . ؟ انها لا تستطيع أن تميز حرفا مما يقال لو ان القديس مكانها فما عساه يفعل . ؟ لا شك انه ما كان ليتردد في مغادرة الغرفة والاقتراب من القاعة ومحاولة استراق السمع .

وما دام القديس لا يتردد فهى ايضا لا تتردد .

وخرجت تسير على اطراف اصابعها . ونزلت الدرج فى خفة وحذر . والآن ما العمل ؟ ان فى وسعها أن تقترب من الباب لتنظر من ثقبه وتتسمع عنده . ولكن ما عسى يكون من شأنها لو انها بوغتت وهى على هذه الحال . ؟ كلا .. انها لن تفعل هذا . خير لها ان تنزل الى الحديقة فتدور فى ارجائها حتى اذا بلغت نافذة القاعة وقفت تحتها لتتسمع .

وحين خرجت الى الحديقة لاحظت ان نوافذ القاعة موصدة وأن الستائر مسدلة عليها . هذا عجيب . لو ان الامر كان كذلك عند قدومها لما فاتت عليها . لا شك ان الستائر اسدلت عقب صعودها الى مخدعها . ولا شك ان الزائر انما جاء عقب ذلك ايضا . والا فقد كانت عمتها فى قاعة الاستقبال فى انتظار الزائر .

والآن ما العمل .. ؟ ما العمل .. ؟ لابد أن تتبين وجه هذا الزائر الذى يحيط زيارته بهذا التكتم .. !

ودارت باتريشيا ببصرها فى الحديقة تبحث عن ركن منزو تستطيع ان ترى منه الزائر عند خروجه . ولم يكن لديها شك فى انه سيخرج من باب الشرفة كما دخل حتى لا يجتاز البهو فتقع عليه العيون .

واسرعت الى السلالك القائم فى ركن الحديقة فاختفت فيه .. فمن هذا المكان تستطيع أن ترى دون ان يفطن الى وجودها احد .

* * *

وفى هذه اللحظة كان الحديث يدور فى القاعة فى صوت منخفض .. فكان الزائر يقول لمس جيرتون :

— حبة واحدة تكفى لان تجعلها تنام ست ساعات .. ومن السهل ان تضعى هذه الحبة فى قدح القهوة عقب العشاء .. وهذا المخدر سريع الذوبان ولا طعم له وله اثر سريع .. فاذا ما غلبت الفتاة فارقديها على الاريكة وسأحضر فى الساعة الحادية عشرة لكى انقلها .

وكان الرجل طويل القامة نحيف البنية .. وكانت قبعته مرخية على وجهه تخفى ملامحه . وقد رفع ياقة معطفه على يعد فى وسع من يراه ان يتبين شخصيته .

وقالت العمة لجنا فى صوت رنان اجوف :

— ولماذا لا تقوم بنفسك بهذه المهمة الشريرة .. ؟

وانفجر الرجل يضحك وقال :

— الم اؤكد لك ان هذه الحبة ليست سامة .. ومع ذلك فان باتريشيا موفورة الصحة ولن يؤثر فيها المخدر .. ستشعر بصداع خفيف فى اليوم التالى ولا يلبث ان يزول .. اتحسبين انى ارضى أن اقتل فتاة لها مثل هذا الجمال .. ؟

واقتربت منه مس جيرتون وهتفت فى صوت رهيب :

— يا لك من نذل .

وهز الرجل رأسه وابتسم وقال :

— ان لك ضميرا عجيبا . ينام ويصحو حسب الطلب انى احب باتريشيا ولما كانت لا تشاطرنى هذا الشعور فقد عولت على أن اغزو قلبها بهذه الوسيلة العتيقة .

وقالت مس جيرتون فى صوت هادىء :

— انى احب هذه الفتاة ولا اريد ان ينالها السوء .. ؟

فضحك الرجل المجهول ساخرا وقال :

— يجب ان تكاشفيها بهذا الاعتراف فى اول لقاء يجرى بينهما . ومع ذلك فكونى واثقة من انى سأغتنم اول فرصة فاطلب الى قاصرتك ان تتزوج بى .

وصاحت اجنا :
ـ لم تكذب . ؟ اننا منفردان . !
ـ لست اكذب . ؟ انى اصدقك القول . !
وكان وجه المراة ناطقا بالحقد الشديد وقالت :
ـ يقولون ان المجرمين لابد ان يكونوا مجانين . وقد بدات اصدق ذلك . !
وقال الرجل مستطردا :
ـ انى احب باتريشيا .. وساختطفها . وساتخذ منها خليلة لى ولو على الرغم منها . فاذا ما عرفت انها صارت قريبة لى رضيت على الفور بالزواج منى لتدرأ عن نفسها الفضيحة والعار ذلك هو مجمل خطتى .
وغمغمت مس جيرفون تقول :
ـ من يرى وجهك ويسمع حديثك يعتقد على الفور انك مخبول !
ـ فليكن .. يكفى أن تعلمى انى احبها . واريدها وتقدمت اجنا خطوة اليه وقالت :
ـ انك مجنون . ! انك موفور الغنى . فلماذا حاولت ان تهددنى بالفضيحة لتبتز منى المال . ؟ ان عشرين الفا من الجنيهات لا يمكن ان تكون فى نظرك بذات بال !
فهز الرجل كتفيه وقال :
ـ سلبتك هذه الثروة بالتهديد حتى لا تجد باتريشيا باقية تساعدها على الزواج فترتمى على قدمى راشخة ومع ذلك فانك لم تخسرى شيئا لقد سلبتك ثروة الفتاة لا ثروتك . وقد غنمت حريتك وحياتك . فلو انى نطقت بكلمة واحدة لتقدمت الى المحاكمة يا عمتى اجنا بتهمة القتل وشنقت منذ سنوات . !
وصاحت المراة :

ـ لا تلقبنى بالعمة اجنا انى لست عمتك . !
ـ اذن فلالقبك بـ ..
ـ كلا .. ولا هذا ايضا !
وهز الرجل كتفيه وقال :
ـ فليكن . ! يا امراة بلا اسم ولا لقب . ! اعلمى انى لم اعتد ان ارجو . ؟ عليك ان ترضخى والا . ؟ وانى لاعلم انك ستكونين عاقلة .
فقالت المراة فى بطء :
ـ لست ادرى . انك تعذبنى وتتسلط على منذ سنوات . وقد اصبحت الان اشتهى الخلاص . الخلاص النهائى . وانه ليخطر لى فى بعض الاحيان ان اشى بك . واذا وشيت فسيرحمنى القضاء وسيصدر على حكم مخفف . ! الا تخشى هذا التمرد . ؟
وسكت الرجل برهة ثم قال :
ـ انى لا احفل بالعدالة واهزا بالقوانين ! فاحذرى ان ترددى هذا الوعيد مرة اخرى والا قتلتك بلا رحمة . !
ثم نهض واقفا وسار الى الباب ففتحه واطل براسه فى حذر فلما اطمان الى خلو المكان تحول الى مس جيرفون وقال :
ـ سانصرف . ولا داعى لان ترافقينى .. اليست الفتاة فى مخدعها ؟
ـ سمعتها تصعد الدرج منذ قليل .
ـ والان كلمة اخيرة .. احذرى أن تشى بى والا فالويل لك .
ووقفت اجنا تصغى الى وقع خطواته وهو يبتعد .. وطاف بذهنها خاطر فجائى وترددت برهة . ثم فتحت احد الادراج واخرجت مسدسا وخرجت الى الحديقة .

كان الرجل الغامض قد تخطى الحديقة وسار في الطريق الجانبي المفضي الى الطريق العام .. واستندت مس جيرتون مرفقها الى سياج الشرفة وسددت المسدس اليه . ثم اطلقت النار .. مرتين .. في اللحظة التي هم فيها الرجل بان يتحول الى الطريق العام .

وفجأة رأت مس جيرتون باتريشيا هولم الى جوارها .

وقالت الفتاة وهي ترتعد :

— ماذا جرى ؟ ماذا فعلت .. ؟

فاجابتها مس جيرتون في برود وهدوء :

— ارجو ان اكون قد قتلته .

وارسلت بصرها الى حيث كان الرجل .. ولكن الظلام كان شديدا فلم تتبين ما امامها .

والتفتت الى الفتاة قائلة :

— سأذهب لاتحقق .. ! ابقي هنا ولا تلحقي بي .

وجرت الى اقصى الحديقة وسارت في الطريق الجانبي ثم استدارت عند المنعطف وحجبتها الاعشاب النامية عن بصر باتريشيا وكان الرجل ممددا على الارض وسط الاعشاب وقبعته على مقربة منه وجثت مس جيرتون الى جواره ومالت فوقه .

وفي اللحظة التالية سمعت باتريشيا صرخة داوية ثم رأت العمة اجثا تنهض واقفة وقد غطت وجهها بيديها .

وجرت اليها باتريشيا فزعة . كانت مس جيرتون لا تزال جامدة مكانها ويداها على وجهها والدماء تقطر من بين اصابعها .. اما الرجل المجهول فكان قد اختفى .. !

وتكلمت مس اجثا قائلة :

— تظاهر بالموت . ولما انحنيت فوقه .. ! اوه . كان خنجره معه ..

— ما الذي فعل ؟ واين ذهب .. ؟

واومأت مس جيرتون باصبعها وقالت :

— سار في هذا الطريق ! . طريق الغابة .

— سألحق به .

ولكن العمة اجثا امسكت بذراع الفتاة وقالت :

— اياك ان تلحقي به والا قتلك .

وسارت الفتاة بعمتها الى الدار .

وغسلت مس جيرتون الجرح بالماء . وعندما رفعت رأسها رأت باتريشيا على جبينها خطين دمويين من اثر الخنجر .. خطين عبارة عن حرف « ن » .. « بالانجليزية » رمز ! للنمر .

لقد وسمها الرجل المجهول بعلامة النمر !

الفصل الرابع عشر

قالت مس جيرتون في صوت رهيب :

— لقد تجاسر .. ! تجاسر النمر .

ثم جمعت قبضتها ولوحت بها متوعدة وقالت :

— ولكنني سانتقم .. ! سأنتقم .

— ولكن يا عمتي .

وكانت باتريشيا متلهفة الى ان تطرح بعض الاسئلة على عمتها . غير انها صاحت بها :

— انصرفي .. ! انصرفي .. !

وقالت باتريشيا في اصرار :

— اهذا الرجل هو النمر ؟

— اذهبي عني .

ــ اهو الذى كان يبتز منك المــال . ؟
وتقدمت مس جيرتون خطوة الى الباب وصاحت :
ــ انصرفى . انصرفى والا قذفت بك من النافذة .
وكان صوتها رهيبا .. مخيفا .. وكان الشرر يتطــاير من عينيهــا .
ولم تر باتريشيا مندوحة من الانصراف فقالت :
ــ ساذهب .!
وخرجت .

* * *

مضت باتريشــيا من فورها الى الحصــن لتقص على القديس ما حدث فلما بلغته رات هوراس يعد مائدة العشاء . وفى ثنايا وجهه ما يدل على انه يحمل هما دفينا .. واقبلت الفتاة تقــول :
ــ اين مستر تمبلار . ؟
فقال هوراس فى صوت حزين :
ــ سيعود فى الساعة السابعة والنصف .
ثم اولاها ظهره ومضى الى المطبخ وتبعته باتريشيا وهى تقــول :
ــ ايمكننى أن امد اليك يد المعونة . ؟
ــ كلا .. شــكرا .
وقالت الفتاة بعد لحظات :
ــ الا تستطيع أن تخبرنى بالمكان الذى ذهب اليه سيمون حيث الحق به .
فقال هوراس فى خشونة :
ــ لست اعرف شيئا .. ولكن تيقنى أن لابد من عودته فى منتصف الثامنة .. انه لن يتخلف ولا دقيقة واحدة . انه

شديد المواظبة والحرص على مواعيده .
ولكن على الرغم من هذه التاكيدات لمست باتريشــيا فى صوته قلقا يحاول أن يخفيه .
وقالت باتريشيا :
ــ خبرنى .. احدث شىء غير عادى .
فصاح هوراس فى صوت مرتفع :
ــ كلا .. كلا ..
وهزت الفتاة كتفيها ومضت الى الشرفة المجاورة فجلست على احد المقاعد وانشأت تفكر .. لا فائدة من الالحاح .. ان هوراس شديد الخشونة مما الداعى الى اثارة سخطه ؟
ونظرت فى ســاعتها : السابعة والثلث .. ترى اين ذهب القديس .. ان الباخرة لا تزال بعيدة عن شاطىء الجزيرة فمن المستحيل ان يكون قد ذهب اليها .. الا اذا كان قــد قصــد الى الجزيرة ليختبر مســالكها .. وتتابعت الدقائق والقلق مستول عليها .. ايبر القديس بوعده . ؟
ودخل عليها هوراس وابرز ساعته من جيبه ونظر فيهــا ثم قال :
ــ دقيقة او دقيقتان ثم يحضر .
واقتربت الفتاة من احدى كوات الحصن ومضت تنظر منها علها تراه وهو قــادم .
والى الساعة الثامنة الا ثلثا لم يكن القديس قد حضر .
وجلست باتريشيا تذرع الغرفة وقد استولى عليها القلق .
ودخل عليها هوراس وهو يقول :
ــ انى ذاهب لابحث عنه .. وسارافقك اولا الى القصر .
ونهضت الفتــاة واقفة وقالت :
ــ الى اين تنوى أن تذهب ؟

— لست أدرى على وجه التحقيق .. ولكنه أوصانى بأن أبحث عنه فى مكانين معينين .

— سأرافقك اذن ..

فهز رأسه وقال :

— هذا محال .. لو مسك سوء لقتلنى .

وتجاهلت باتريشيا اعتراضه وقالت :

— الى أى مكان سنذهب أولا . ؟

— أتريدين أن تقولى : الى أى مكان « سأذهب » أولا . ؟ أن فى وسعى أن أجيبك على هذا السؤال .

وأخرج من جيبه الرسالة التى كتبها القديس وتركها له على المنضدة وقدمها اليها فلما قرأتها الفتاة اشتد بها الخوف وغزت قلبها الهواجس : ترى أين القديس الآن : لعله سجين أسير .. لعله جثة هامدة .

وقالت الفتاة فى هدوء :

— هيا بنا . ؟

وغادرا الحصن .. وسارا فى الطريق العام .. وكانت باتريشيا تتقدمه وفجأة عرجت على طريق جانبى يؤدى الى ضواحى القرية . فقال لها هوراس معترضا :

— ليس هذا بطريق القصر . ؟

— يجوز .. ولكننا سنسير فيه على أية حال . !

— عفوا يا آنسة .. ولكن ليس فى وسعى أن أسمح لك بهذا .

— أتظن هذا .. ؟

وفجأة انطلقت تجرى حتى لا يعترض سبيلها .. وجرى هوراس فى أثرها وهو يدعوها الى الكف من الالقاء بنفسها فى هذه المغامرة المهلكة .

وتعثرت الفتاة أخيرا واختل توازنها وهوت الى الأرض .

وقبل أن تنهض واقفة كان هوراس قد لحق بها واحتملها بين ذراعيه وهو يقول :

— معذرة يا آنسة .. ! بهذا يقضى واجبى .. فلو أنه كان موجودا لفعل كما أفعل الآن .. ! نعم .. سأحملك الى دارك قسرا عنك .. !

وفجأة شعر هوراس بشىء صلب فى جنبه .

وقالت باتريشيا :

— لا ترغمنى يا هوراس على أن أسلك معك مسلك العنف والشدة . قلت لك انى سأرافقك ولن أرجع عن قولى .

وابتسم هوراس .. اذ فى وسعه أن يجردها بسهولة من المسدس الذى تهدده به ولكنه أبى أن يفعل .. كان معجبا بشجاعتها وجسارتها كان معجبا بما تبدى من رغبة قوية فى محاولة انقاذ سيده .

وقال هوراس مذعنا :

— فليكن لك ما تشائين ..

وأخذا يجدان الخطى صوب ضواحى القرية حتى اذا أشرفا على الحافة عرجا على طريق جانبى يفضى الى البيت القديم الذى سبقهما اليه القديس عند هبوط المساء .

ووقفا أمام الباب برهة فقال هوراس :

— دعينى أتقدمك فى الدخول .

وألح عليها فأذعنت .. ودس هوراس يده فى جيبه وأخرجها فاذا فيها مصباح كهربائى صغير .

ودفع هوراس الباب ودخل .. وسلط ضوء المصباح فى أرجاء المكان وتمتم يقول :

— آثار أقدام .. ! زار هذا المكان نفر من الناس حديثا .. رجال الشر بطبيعة الحال .

واستقر ضوء المصباح على المنضدة . ورأى هوراس البندقية المتصلة بالاسلاك ورأى فوهة البندقية متجهة الى الجدار .. ورأى الأسلاك مقطوعة .. وتجلت أمامه الحقيقة .. لقد عمد رجال العصابة الى هذه الخدعة ليفتكوا بسيده . ولكنه نجا والدليل على ذلك الاسلاك المقطوعة والفوهة المحولة .. !

هز هوراس كتفيه وقال وقد علت شفتيه ابتسامة الاطمئنان :

— كلا .. ان مستر تمبلار لا يؤخذ بمثل هذه الخدعات الصغيرة .. ؟

وجال ببصره في المكان .. ورأى الابواب الثلاثة .. ورأى احدها مفتوحا .

وهمس يقول :

— انظرى .. آثار اقدام متجهة الى هذا الباب . انى ارجح ان يكون سيدى قد دخل هذه الغرفة .

واقترب من الباب وسلط على الداخل ضوء مصباحه الكهربائي . ولما اطمأن الى خلو المكان دخل مسرعا وفي اثره باتريشيا .

وما تقدما في الغرفة خطوات حتى جمدا مكانهما مذهولين . وقع بصرهما على الفجوة البادية في أرضية الغرفة . فوهة بئر عميقة . ولم يكن خفيا ما جرى . تقدم القديس وسط الغرفة وهو لا يدرى بالفخ المنصوب . ووطىء بقدميه الالواح الخشبية التى تغطى فوهة البئر وتكسرت الالواح وهوت . وهوى معها القديس .

وتناول هوراس زجاجة القاها في البئر . وبعد لحظات سمع صوتا يدل على اصطدامها بالماء . فقال :

— ان الماء على مسافة مائة قدم على اقل تقدير .

وضمت باتريشيا كفيها الى فمها ومالت فوق فوهة البئر وزعقت بملء صوتها :

— سيمون . سيمون .

لم يجبها غير الصدى .

وبدوره بدا هوراس يزعق :

— سيمون . ! سيمون انني هوراس .

ولكنه لم يسمع جوابا .

وارتعدت باتريشيا وهتفت تقول :

— يا الهى . انقذه يا رب . انقذه يا هوراس .

وفجأة عادت تقول :

— أموقن انت من انه سقط في البئر ؟

وفحص هوراس حافة الفوهة والالواح الخشبية المكسورة ثم قال :

— انظرى . هذه قطع من سترته علقت بالالواح عند سقوطه ولم يعد ثمة مجال للشك .

ثم اردف يقول :

— ولكنى موقن ايضا من انه نجا . انه لا يؤخذ بهذه السهولة . نعم لقد نجا . ولكنه الان منزو في احد الاركان يرقب البيت حتى يوقع في روع رجال العصابة انه هلك . ثم يباغتهم فجأة من حيث لا يدرون .

القى هوراس هذه الكلمات في صوت حاول ان يشيع فيه الشجاعة والايمان . ولكن الوساوس داخلت الفتاة فقالت :

— الا يمكننا ان نهبط الى قاع البئر . ؟

— ان هذا ممكن طبعا . ولكن لابد من الاستعانة بحبل طويل . وسامضى الى القرية لاحضر حبلا . ولكنى اخشى ان لا تكون ثمة فائدة من هذه المحاولات اذا كان قد هوى الى البئر .

ونهض واقفا . وفوجئت . ! الفتاة .. ودون ان يشعر انحدرت الدموع من عينيها . ! سيمون تمبلار مات .. ! القديس العظيم .. القديس الجرىء . قد أصبح الآن جثة هامدة .. مات غريقا في الماء .. كأنه فأر حقير . قتل غدرا وخيانة لا كما يقتل الرجال .

ورفعت باتريشيا رأسها ونفت الحزن من قلبها .. وتكلمت في صوت هادىء .. ولكنه عميق رنان . وقالت :

ــ قتل النمر سيمون .. فما جدوى الحزن .

فقال هوراس مؤمنا :

ــ نعم .. لا فائدة من الحزن فلنرجع الى الحصن .

فقالت في عزم واصرار :

ــ كلا .. لن نرجع .

ــ وما فائدة البقاء . ؟ ليس في وسعنا ان نفعل شيئا .

ــ بل في وسعنا ان نفعل أشياء كثيرة .

ونظر اليها هوراس مستفسرا فاسترسلت تقول :

ــ نعم . لدينا رسالة تعلينا ان نعمل على تنفيذها .. هذا هو ما ينتظره منا سيمون .. ايرضيه ان يرانا نعود الى الحصن فنحزم متاعنا ونهرب صاغرين . ؟! علينا ان نتم الرسالة التي بداها . علينا ان ننتقم من هذا الرجل الذى فتك به .. يجب ان لا تذهب تضحية سيمون عبثا . اتريد ان تعاونني في اتمام هذه المهمة . ؟

وسكت هوراس برهة ثم اجاب بقوله :

ــ بكل تأكيد يا مس هولم .. نعم .. ينبغي ان لا ندع النمر يفر هاربا بمثل هذه السهولة .. لقد اختفى مستر سيمون .. وكان يحبك فمن حقك ان تتولى الزعامة مكانه .. نعم .. مرى اطعك .

فقالت الفتاة :

ــ شكرا .

وقال هوراس :

ــ الا ترين انه يحسن بنا ان نخطر مستر كارن . انه شرطى سرى فاذا انضم الينا ربحنا قوة لا يستهان بها .

ــ هيا بنا اذن ؟

ومضيا مسرعين الى بيت كارن .

ودقت باتريشيا الجرس مرة بعد مرة .. ولكنها لم تسمع جوابا .

وقالت في اسف ظاهر :

ــ انه غير موجود .

وادارت الى هوراس وجهها الشاحب القلق فقال لها :

ــ لقد جاء مستر كارن الى الحصن بعد ظهر اليوم ليخطر مستر تمبلار ان النمر عقد العزم على الفتك به وبى . وقد رأيته بعد قليل مستقلا مركبة وهو منطلق بها باقصى سرعة في طريق غراكومب . واعتقد انه لابد ان يكون قد اكتشف شيئا .

فقالت باتريشيا :

ــ ان كان قد اكتشف شيئا فقد ذهب الى المدينة ليطلب نجدة وسيعود في هذا المساء حتما .

فقال هوراس :

ــ هذا صحيح ولكن من الحماقة ان نركن اليه .

ــ نعم .. يجب ان نضع خطتنا دون الاستعانة به فاذا وصل كان هذا خيرا . وان كنت ارجو ان نتمكن من اقتناص النمر قبل قدوم كارن .

واشتد اعجاب هوراس بالفتاة . ! انها في تفكيرها وجرأتها اشبه بالرجال . حقا ما أعظم حبها لسيمون تمبلار .. ان الحب يخلق من المرأة بطلة باسلة !

وقالت الفتاة :

— سننتظر حتى يهبط الليل وينهمك رجال العصابة فى نقل الذهب الى الباخرة . فيمكننا ان نعـود الان الى الحصن لنتناول العشاء ونصيب شيئا من الراحة الى ان تحين ساعة الكفاح .

ثم تحولت الى هوراس وقالت :

— اننا فى حاجة الى شيء من المعونة . اثنان لا يكفيان لمحاربة عصابة قوية . سأذهب الى مستر لوماس كوبر اسأله ان ينضم الينا .

نهتف هوراس :

— لوماس كوبر . ! هذا الابله الساذج . ! انه لا يصلح لشيء . !

— قد يكون ساذجا ولكنك ستجده مطيعا مخلصا وذا نفع عظيم . وحين اقتربا من بيت بلوم رأيا شبحا يخرج من الحديقة فعرفت فيه باتريشيا الجى فهتف يحييها :

— اهذه انت يا باتريشيا . ؟

وقالت الفتاة فى صوت هادىء :

— جئت ابحث عنك وانشد معونتك . هيا رافقنا الى الحصن وهناك نتناول العشاء معا ونعقد مجلسا حربيا .

فقال الجى فى تلعثم :

— ماذا جرى ؟

— تعال ولا تضيع الوقت سدى . ساروى لك كل شيء ونحن على المائدة .

فهز الجى راسه وقال :

— وهل نحن فى زمن الحرب . ومع ذلك فاننى رهن اشارتك . ومن اجلك لن احجم عن شيء .

وظلوا صامتين حتى انتهوا الى الحصن فتناولوا العشاء ساكتين ولما بداوا يحتسون القهوة انشأت باتريشيا تحدثه

بما كان . فقصت عليه كل ما تعلم عن عصابة النمر .

وكان الجى يصغى اليها كالمذهول دون ان يقاطعها بكلمة واحدة . فلما فرغت قال فى هدوء :

— ان ما رويته لى لا يعدو ان يكون خلاصة رواية قراتها فى يوم من الأيام .

فقالت :

— الا تصدقنى . اقسم لك ان هذه هى الحقيقة بحذافيرها . . !

فقال فى استغراب :

— فى هذه الحالة يجب ان اقول ان الامر مدهش . !

ثم قصت عليه الخطة التى كان سيمون ينوي ان يتبعها واختتمت حديثها بقولها :

— اتجيد السباحة يا ترى ؟

— نعم .

— ايمكننى اذن ان اعتمد عليك ؟

ورفع الجى راسه فى بطء .. ورأت باتريشيا عينيه تلمعان . ثم مد يده يصافحها فى حرارة وهو يقول :

— يمكنك ان تعتمدى على كل الاعتماد .

الفصل الخامس عشر

قالت باتريشيا هولم :

— لا شك ان الباخرة قد زايلت مكانها الان وتقدمت الى داخل الخليج .

وكانت الساعة اذ ذاك قد اوفت على العاشرة مساء فأخذت بذراع الجى وغادرا الحصن ووقفا على حافة الجرف يرسلان بصرهما الى البحر وتراءى لهما على البعد المنزل

القديم وجسم الباخرة وقد سادها الظلام فلولا انعكاس ضوء النجوم لما رأتها العين .

وقال الجي في حماسة :

ـ انى أرى شبح الباخرة ، انها تقترب من الجزيرة . !

ـ اذن كان سيمون على حق في كل ما قال .. انها تقترب ببطء . وقال الجي في لهجة الاطفال السعداء :

ـ كلنا في عصور الفرصة .

ورجعا الى الحصن . ونظرت الفتاة في ساعتها وقالت :

ـ انى اعتقد انهم لن يصلوا الى شاطىء الجزيرة قبل الساعة الحادية عشرة . تعد الى دارك والبس بدلة الاستحمام .. الديك مسدس يا ترى ؟

ـ اظن ان لدى عمى بلوم مسدسا جميلا .

فابتسمت واخرجت المسدس من جيبها وقالت :

ـ ها هو ذا مسدس عمك لقد نشله منه سيمون . !

ـ يحتمل أن يكون لديه سواه . على اية حال سأبحث عن مسدس . !

ـ ومتى تعود . ؟

ـ بعد ساعة على الاكثر . في الحادية عشرة .

فقالت الفتاة :

ـ فليكن .. ولكن اياك ان تبطىء . يجب ان تكون هنا في تمام الحادية عشرة . اننا مضطرون الى الوصول الى الباخرة سباحة والمسافة ليست أقل من ميلين .. وعلى فكرة . يمكنك ان تأتى معك بحبل طويل لكى نهبط بواسطته الى اسفل الجرف ؟

ـ نعم سأشترى حبلا من حانوت ادوات الصيد .

ـ اسرع اذن ولا تتخلف عن الحادية عشرة .

فقال لوماس كوبر في حماسة :

ـ اعتمدى على ابنها الرئيسة .

ومضى وهو يتوثب كالطفل الجذل وباتريشيا تراقبه في اغتباط . لقد اصابت في رأيها عنه قد يكون ساذجا . وقد يكون ضعيف الرأى . ولكنه على أية حال عظيم الاخلاص تواق الى أن ينجز عملا نافعا ولقد سرها أن تقع في بيكومب على رجل نقى السريرة يمكن الاعتماد عليه في وقت اصبحت فيه الشبهات تحوم فوق جميع الرؤوس .

لقد كانت تعرف منذ زمن أن الجى يميل اليها . ولكنه ميل الساذج الابله . لم يكن يشير الى حبه بكلمة واحدة كان يكتفى طيلة الوقت بان يختلس اليها النظر .. وما تمر ليلة الا زارها في القصر ودعاها الى مرافقته الى المدينة فيتجولان هنيهة في ضوء القمر وهو صامت ساكت لا يعبر عن حبه بكلمة واحدة شأن الكلب الامين .

وغمغمت باتريشيا تقول :

ـ يسرنى أن اجد فيه صديقا ومعينا وقت الشدة .

وانتقلت بخواطرها الى التديس . ترى ما الذى حل به الان ؟ هل استطاع الفرار ؟ هل استطاع النجاة ؟ أم هوى الى البئر وابتلعته المياه . ؟

على انها ما لبثت أن نفضت الحزن عن نفسها . ! ليس هذا أوان الاستسلام للاشجان . ! ان النصر او الفشل معقود على مقدرتها على ادارة المعركة . ! وانها معركة رهيبة .. ! فلتدع الحزن الان ولتعبىء اعصابها للنضال . ! انها في حاجة الى كل قواها مجتمعة .. ولو ان التديس مكانها لما حزن .. لو انه مكانها لوجد العزاء والانتقام ... فاذا ما اخذ بالثار فللحزن مجال متسع .. !

وانتبهت من استغراقها وخواطرها على صوت خفيف ..

انه هوراس .. لقد ارتدى لباس الاستحمام وتمنطق بحزام من الجلد اودعه مسدسه وما قد يحتاج اليه .

وقال هوراس وهو ينظر فى ساعته :

ـ الم يحضر الابله الساذج بعد .. ؟ لا داعى لانتظاره اذن .. ! لا شك انه منهمك الان فى البحث عن « البزازة » او عن لعبة يلهو بها .. !

فقالت باتريشيا :

ـ يلوح لى انك لا تحب الجى .. !

ـ انى لا احب الاطفال .. !

ـ ولكنه شديد الاخلاص .. ولابد ان يحضر .. اخرج الى المرج وارم ببصرك الى اول الطريق فقد تراه مقبلا .

وخرج هوراس الى المرج وباتريشيا فى اثره .. وكان القمر قد بزغ وارسل اشعته تبدد بعض الظلام .. ولاحت الباخرة على البعد تقترب فى بطء من الجزيرة . ورأت باتريشيا زورقا قد غادر الشاطىء متجها الى ناحية الباخرة .

وعجبت للامر .. ترى من فى هذا الزورق .. ؟ أهو كارن عاد من تراكومب ومعه النجدة . ؟ ولكن اذا كان هو كارن فكيف يقترب من الباخرة علانية وفى خط مستقيم دون ان يسعى الى شىء من التستر الا يخشى ان يراه من فى الباخرة .. ! كلا .. ان هذا لا يمكن ان يكون كارن . ! انه بلا شك النمر وبعض اعوانه ! . لقد جاءهم زورق من الباخرة لكى ينقلهم اليها .

وابتسمت باتريشيا .. ! الان اصبح الهدف طريدا .. النمر .. والذهب .. والعصابة .. انهم جميعا على ظهر الباخرة .. سيكون الانتقام هائلا .. !

وقال هوراس :

ـ لم ار اثرا لالجى .. ؟

ثم اردف يقول :

ـ ولكن ما العمل الان يا مس هولم .. كيف نهبط الى اسفل الجرف وليس معنا حبل نستعين به .. ؟

فقالت باتريشيا :

ـ لقد وعد الجى بان يأتى بحبل معه فما الذى عاقه يا ترى .. ؟ أوقع له حادث .. ؟

وراحت تفكر فى الامر محاولة ان تقع على تفسير معقول يبرر هذا التخلف .. كان الجى يبدو شديد التحمس فما الذى اقعده اذن عن الحضور .. ؟ أكان هناك جاسوس يدور حول الحصن ويسترق السمع فسمع ما دار بين الجى والفتاة فلما خرج الشاب باغته وقتله ؟ هذا غير معقول .. انها لم تشعر بأن هناك من يراقبها .

وبغتة تفتق ذهنها عن تعليل معقول .

اذا كان الجى قد اتخذ طريقه الى الحصن فى الموعد المتفق عليه فلا مفر له من ان يمر برصيف الميناء .. ولا شك ان النمر ورجاله كانوا فى هذه اللحظة على الرصيف فى انتظار قدوم الزورق .. وقد رأوا الجى .. ورأوه يحمل الحبل .. ولعلهم استجوبوه ايضا فبدرت منه بعض كلمات فضحت السر .. !

وهتفت الفتاة :

ـ لقد اعتدوا عليه .. لقد اقتنصوه .. ! هيا بنا .. !

وسارا صوب الجرف .

وقالت باتريشيا :

ـ عليك ان تمضى الى القرية مسرعا لتأتينا بحبل نستعين به على الهبوط ويحسن بنا ايضا أن نمر ببيت كارن فانى اكون اشد اطمئنانا اذا عرفت أن رجال البوليس فى اثرنا .. حتى اذا اخفقنا استطاعوا الثأر لنا جميعا .

وعرجا على رصيف الميناء وسارا قليلا .

ونجاة سمعت باتريشيا صوتا يناديها :

ـ باتريشيا .. باتريشيا .. !

وكان الصوت مختنقا محبوسا .

وصوب هوراس ضوء مصباحه الكهربائي الى حيث صدر الصوت وهناك .. بين الحشائش رأيا رجلا ممدا على الأرض .. ولم يكن هذا الرجل الا الجني .. !

وهتفت باتريشيا :

ـ اهذا انت يا الجني .. !

فأجابها في صوت ضعيف :

ـ نعم انا الجني .. ؟ لقد صرعت في اول جولة .. ؟ اني لا استطيع لشيء .. !

وانحنت فوقه واخذت برأسه فاسندته الى صدرها وقالت :

ـ كيف اصابوك ؟ انك جريح .. ! اتشعر بالم .. ؟

فغمغم في جهد ظاهر :

ـ اني احسن حالا .. وساسترد قواي فورا .. ؟

وساعده هوراس على الجلوس ثم حمله الى صخرة بارزة اجلسه وراءها وسلط عليه الضوء فبدا وجهه الشاحب الملوث بالدماء .

وقال الجني في صوت ضعيف :

ـ انقضوا علي وضربوني فاصبت بجرح في وجنتي .. ؟

واسرع هوراس الى البحر فملأ دلوا عثر عليه على مقربة من المكان وحمله الى الجريح فغسل وجهه ، وكان للماء المالح اثره في ايقاف النزيف وانعاش الجريح .

وقال الجني بعد ان استجمع قواه :

ـ لقد رأيت بعض رجال العصابة على الرصيف فاقتربت منهم واردت ان احاكي ما اقرأه في الروايات البوليسية .

فصحت فيهم : « ارفعوا الأيدي » وها هي ذي النتيجة : هذا الجرح ... !

ـ اعرفت احدا منهم . ؟

ـ كان الظلام حالكا الى حد ما فلم استطع ان اتبين وجوههم على التأكيد . ولكن احدهم كان طويل القامة بدين الجسم . انه بيتل بلا ريب . والشيء الذي اذهلني هو اني رأيت بينهم واحدا شديد الشبه بفطين . !

ـ كم كان عددهم . ؟

ـ ثلاثة او اربعة .

وتناهض الفتى للقيام في صعوبة ظاهرة . وقالت باتريشيا في جزع :

ـ كيف حالك الان . ؟

ـ خير مما كنت . ! ولكن ابحثوا من الحبل . لقد سقط مني بالقرب من هذا المكان .

ومضى هوراس يبحث عن الحبل فوجده ملقى بين الاعشاب فعاد به ثم قال مخاطبا الجني :

ـ الا ترى انه يحسن بك أن تعود الى دارك لتنام . ؟ انك تبدو متعبا .

وكان هوراس قد بدا يحترم الشاب . الم يصب بجرح في سبيل هذه القضية العادلة .

وهز الجني رأسه وقال :

ـ كلا .. لن تمضي دقائق قليلة حتى استرد قواي . اني لا ازال واقعا تحت اثر الضربة التي اصابتني .. وبودي أن التقي بهؤلاء الاوغاد مرة اخرى لالقي عليهم درسا لا ينسى . واذا ما صرت على ظهر الباخرة فسأكون مطيعا للزعيمة . !

فهتف هوراس :

ـ احسنت يا سيدي . ! احسنت . ! استند الى ذراعي .

حتى توفر كل قواك للمعركة القادمة . !
— يجب أن نخطر كارن حتى ينضم الينا .
فقال الجى :
— لقد مررت بداره عند تحوسى الان لعرفت انه لم يعد بعد من تراكويب .
وسار الثلاثة صوب الجرف .. وعقدا الحبل فوق احدى الصخور ثم ادلوه الى باطن الجرف .
وقالت باتريشيا :
— سانزل اولا ثم تلحقان بى ، فاذا ما بلغنا الماء سبحنا صوب الباخرة . واياكم ان تحدثوا صوتا .
وتعلقت باتريشيا بالحبل واخذت فى الهبوط .. وبعد لحظات لحق بها هوراس .. ثم الجى .
وان هى الا دقيقة واحدة حتى كان الثلاثة يسبحون متجهين الى الباخرة .. وكان البحر هادئا ساكنا والليل جميلا .
وفى نفس هذا الوقت كان المفتش كارن والنجدة التى جاء بها على مسافة اثنى عشر ميلا من بيكومب . وقد استولت عليهم الحيرة لا يدرون ما يصنعون اذ لم يجدوا فى مثل هذه الساعة من الليل مركبة تقلهم الى القرية .

الفصل السادس عشر

لم يكن عمق البئر ليقل عن مائة وستين قدما قطعها سيمون تمبلار فى اقل من ثلاث ثوان .
تكسرت الالواح الخشبية تحت ثقله فهوى الى الاسفل .. اخذ ينحدر كانه صخرة تدفقت الى البحر من حالق .. ثم اصطدم بالماء فى صوت يصم الاذان ..

غاص القديس فى الماء حتى بلغ القرار .. ثم الفى نفسه يرتفع مرة اخرى بقوة رد الفعل حتى بلغ السطح . ولا شك ان الماء كان عميقا لانه شعر بضربات قلبه تشتد وتعلو .. وخيل اليه انه يوشك ان يختنق وكانت الدوامة المائية قوية جارفة .. اخذت تدفعه دفعا الى جوانب البئر .. ثم اخذت تجذبه الى الاسفل .. الى الاسفل .. الى الموت المحتوم ..
وايقن القديس بالهلاك !
واستجمع قواه .. وكانت مضعضعة من اثر هذه الصدمة ومضى يجاهد .. ويضرب ذراعيه فى الماء .. ويحاول ان يسبح مبتعدا عن دائرة الدوامة .. ولكن الصدمة التى اصابته عند سقوطه فى الماء كانت تشل ذراعيه .. وشعر انه فقد اكثر من نصف قوته .. جاهد وسبح .. واستطاع ان يصل الى جدار البئر . ولمست اصابعه نتوءا بارزا فى الجدار فتعلق به .
ولكن الدوامة لم ترحمه .. جعلت تدور حوله .. وتحاول ان تجتذبه .. لتبتلعه ..
وانزلقت اصابعه عن الحجر النائىء .. فالفى نفسه مرة اخرى فى غمار الدوامة الرهيبة .
وعاد الى جهاده وكفاحه من جديد .. ووصل ثانية الى النتوء .. فتعلق به .. ثم وجد نتوءا ثانيا فتعلق به باليد الاخرى ..
وعند ذلك امن شر الدوامة ...
وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال فى صوت خافت يخاطب نفسه :
— اخطأت ايها النمر انك قضيت على سيمون تمبلار .. كلا .. انه باق لك بالمرصاد وسيحبط خططك كلها ..

وهنا تفكر أن النجاة من الدوامة ليس معناه النجـاة من البـئر .

عليه قبل أن يعود الى مناضلة النمر أن يخرج من هـذه البئر .. فكيف السبيل الى ذلك . ؟

أرسل بصره الى الأعلى .. وجعل يتحسس الجدران ولكنه عجز عن أن يرى شيئا الا على مسافة لا تزيد على مترين ،

لم ير حجرا ناتئا .. ولا فجوات فى جدار البئر يمكن أن تتخذ سلما .. ولكنه رأى فوق رأسه .. على مسافة متر فجوة متسـعة .. ترى ما هو سر هـذه الفجوة .. ليته يستطيع الوصول اليها .. انها ستنقذه على الأقل من مكافحة هـذه الدوامة .

وفى حركة رياضية رشيقة رفع القديس جسمه عن الماء وقد تعلق بالحجر الأعلى بيد واحدة واسند قدميه على النتوء السفلى .. ورأى نتوءا ثالثا .. عاليا .. تعلق به .. وفى بضع حركات من هذا القبيل استطاع أن يبلغ الفجوة التى رآها وهو فى قاع البئر .

كانت هذه الفجوة عبارة عن فوهة كهف فى جدار البئر .. كهف أحدثته التيارات المائية على مر الأجيال قبل أن ينخفض مستوى المـاء ..

وجلس القديس فى مدخـل الكهف .. لقد انقذته هـذه الجلسة من مكافحة تيارات الدوامة التى كادت تشل ساقيه .. الآن يستطيع أن يدخن فى هدوء .. كيف السـبيل الى مغادرة هذه البئر .. كيف السبيل الى النجاة !

تلك هى المعضلة .. !

واخرج علبة سجائره من المنطقة الجلدية واشعل سيجارة ومضى . يدخن .. يجب أن يتحقق من أمر هـذا الكهف !

واخرج مصباحه الكهربائى من المنطقة وسدده الى داخـل الـكهف .

كان سردابا كبيرا ممتدا فى داخل الصـخور .. ! ولم ير له نهاية .. عجبا . الى أين ينتهى هـذا السـرداب ...

سار القديس فى الكهف بضع دقائق ثم وجد صخرة تسده .. الى هنا ينتهى السرداب . ولكنه كان مخطئا .. ها هو ذا ينعطف ويمتد مرة أخرى !

يمتد الى ما لا نهـاية .

وشعر القديس بتيار هوائى بارد يضرب وجهـه ... ! ترى هل ينتهى هذا الكهف الى سطح الأرض . ؟ هل يكون طريقه الى النجـاة . ؟

لقد قرأ القديس كثيرا عن هذه السراديب التى شـقتها الطبيعة تحت الأرض واتخذتها مجارى المياه ، ثم نضـبت منها المياه على مر الدهور فبقيت على حالها . وذكر عـند هذا سراديب العصبة المصرية .. تلك الكهوف الواقعة تحت الأرض التى اتخذها جماعة من المجرمين مقاما لهم .

وفجأة انطفأ المصباح .. خفت نوره ثم انطفأ .. لقـد فرغت البطارية !

واشعل القديس عودا من الكبريت .. ثم عودا ثانيا ثم ثالثا .. وبعد دقائق قليلة فرغت العلبة أيضا .

يالله .. ما العمل . ؟ ان الظلام حالك لا يتبين فيه المرء كفـه .

ظلام فى ظلام .

ونظر القديس فى ساعته . كانت أرقامها تتألق اذ كانت مطلية بالفوسفور وفى هذه الأرقام المتألقة وجد القديس بعض العزاء .

وسار الى الامـام .. سار ينشـد نهاية الكهف ـــ لـ

على حذر . مادا يده امامه حتى لا يصطدم بالجدران ولا بنتوء بارز في الصخر وكان تيار الهواء البارد يضرب وجنتيه وقد اتخذ من هذا التيار ما يهديه الى الطريق حتى لا يضل في شعب الكهف .

كان الظلام مرهقا للاعصاب .. كان مثيرا للجنون . ! لم تكن هذه اول مرة عاني فيها القديس الظلام .. لقد كابد مثل هذه التجربة القاسية يوم هرب من كهوف العصابة السرية فسبح في النهر الممتد تحت الأرض ولكنه كان في تلك الرحلة يجد زميلا يتحدث اليه ويؤنس وحدته .

اما الان فهو وحده بلا رفيق . !

واخذ يمشى . ويمشى . ! والظلام لا ينتهى .

واخذ يجرى .. ويجرى .. والظلمة لا تفرغ .

كانت له ارادة من حديد .. ولكن هذه الارادة كانت تتحطم امام رهبة هذا الظلام البشع .

ساعة بعد ساعة ، والظلام كما كان ، يمشى بلا غاية ولا نهاية ، وماذا يكون من شأنه لو انه وجد الكهف مسدودا ؟! او لو وجد في نهايته نجوة رهيبة صغيرة لا تتسع لجسده .؟!

وفجاة سمع ضحكة داوية . ضحكة رهيبة بعثت الرعدة في اوصاله .. ثم ما لبث ان أدرك ان الضحكة ليست الا رجع الصدى . ! انها صدى ضحكة اطلقها هو منذ ثوان قليلة . !

واخيرا .. انتعش امله ، اوشكت النهاية ، ها هى ذى معالم الكهف قد بدات تتجلى لعينيه .. تبدد الظلام قليلا .. وكلما تقدم خطوة ازدادت معالم المكان جلاء .. الان اصبح في وسعه ان يرى سقف الكهف .. وارضيته .. وجدرانه .

ولاحت له على البعد صخرة تسد الكهف .. وعندما بلغ الصخرة وجد منعطفا .

ودار حول المنعطف . !

واذ ذاك رأى السماء .

وجرى مسرعا الى الفوهة .. والقى نفسه في العراء .. وارتمى على الأرض وجعل ينظر الى النجوم كانما لا يصدق عينيه .

وبعد دقائق تماسك اعصابه وتسلط على ارادته ونظر في ساعته .. كانت قد اوفت على الحادية عشرة والنصف .. سبع ساعات امضاها في هذه الظلمة الخانقة .. ولكنه نجا اخيرا .. نجا بمعجزة .

وارسل بصره الى البحر .. وسمع دويا خفيفا .. عرف على الفور انه دوى محركات الباخرة .

ونهض القديس واقفا واقترب من حافة الجرف ، ورأى الباخرة ، ثم رأى قاربا يغادر شاطىء الجزيرة متجها الى الباخرة ، وعلى ضوء القمر استطاع ان يرى سلالا مغطاة موضوعة في القارب .. انها بلا ريب السلال المملوءة بالذهب .

لقد شرع النمر في نقل السبائك .

لقد ظن النمر انه نجا من شر عدوه اللدود ، ولكنه واهم في هذا الظن .. ها هو ذا القديس قد نجا من الموت . ها هو سليم معافى .. وسيعرف كيف يحبط خطة النمر . ! ومن حسن حظه ان النمر يعتقد الان انه هلك . انهم لن يكونوا منه على حذر فله ان يباغتهم في وقت لا يتوقعون فيه ظهوره .

خلع القديس سترته ووضعها في مدخل الكهف ثم انحدر الى الماء وفي صمت وسكون اخذ يسبح صوب الباخرة .

وحين اقترب منها اضطر ان يدور حولها حتى لا يلتقى

في طريقه بالقوارب الرائحة الغادية . ولما صار منهما على قيد مائة ياردة غاص تحت الماء وأخذ يسبح تحت سطحه فلا يبرز رأسه الا ريثما يستنشق الهواء .

وانتهى الى الباخرة من ناحيتها الخلفية .. ورأى سلما من الحبال يتدلى منها .. لا شك انه موضوع هناك ليتسلق عليه رجال العصابة .

وتعلق القديس بالسلم واخذ يتسلقه وحين انتهى الى حافة سياج الباخرة تريث برهة مرهفا اذنيه للسمع .. وكانت الاصوات التي سمعها تبدو بعيدة . كانما تصدر من مقدمة الباخرة . وابرز رأسه رويدا .. رويدا .. واستطاع ان يرى .

نعم .. كان البحارة مجتمعين عند المقدمة وهم منهمكون في نقل السلال من القوارب الى الباخرة ، لقد شغلتهم شحنة الذهب عن كل شيء آخر .. ولن يروه اذا صعد الى الظهر .

وفي حركة سريعة تخطى القديس السياج واختفى خلف قائمة الصاري ولكنه لم يكن يجهل ان هذا المكان لا يصلح مخبأ .. ودار ببصره فيما حوله .. ورأى على كثب منه سلما ينحدر الى باطن الباخرة .

اقترب القديس من السلم وهو يسير في حذر واطل برأسه مصيخا السمع ثم اخذ يهبط . وسار الى اقرب مقصورة اليه . الى المقصورة اليمنى ووضع يده على مقبضها وأداره في بطء .. ولكن الباب لم ينفتح . كان موصدا بالمفتاح . ولم يكن لديه من الادوات ما يمكنه من اغتصاب القفل . فما العمل . وهو في حاجة الى مخبأ يلوذ به ؟ .

وفي هذه اللحظة سمع وقع خطوات تقترب .. تصعد

السلم مسرعا كان القادم آتيا من نهاية الدهليز .

وازداد وقع الاقدام وضوحا .. ثم رأى بلوم يحمل صينية فوقها صحفة فيها قطع من السندويتش .

اقترب بلوم من المقصورة اليمنى ووضع الصينية على الأرض وأخرج مفتاحا من جيبه دسه في الثقب وفتح القفل .

وكان القديس واقفا على رأس الدرج يراقب بلوم . وانحنى بلوم ليتناول الصينية .

وفي نفس هذه اللحظة تحرك القديس للعمل .. وثب من اعلى السلم على رأس بلوم وبضربة واحدة طرحه ارضا .

ثم اخذ بتلابيبه وجره الى داخل المقصورة . واغلق الباب من الداخل بالمفتاح .

ثم استدار .

واذ ذاك رأى امرأة جالسة في هدوء على حافة الفراش .

ولم تكن هذه المرأة سوى مس جيرتون .

وقال القديس في تأدب :

— كيف حالك ايتها العمة العزيزة .. ؟

وارتسمت على شفتي المرأة ابتسامة هازئة وقالت :

— الحق انك يا مستر تمبلار رجل بارع .. !

الفصل السابع عشر

أخذت باتريشيا وصاحباها يسبحان في الماء في سكون متجهين الى الباخرة حتى اذا صاروا على قيد خطوات

حتى راوا سلم الحبال المشدود الى مؤخرتها كما رآه القديس من قبل .

وتعلقت الفتاة بالسلم ووقفت تنتظر قدوم صاحبيها اللذين كانا دونها سرعة — ولا عجب ، فهوراس بساقه جرح خفيف ناشيء من رصاصة اصابته اثناء الحرب . أما الجي فكان لا يزال ضعيفا منهوك القوى بسبب الضربة التى اصابته حين انقض عليه رجال العصابة . وامسكت الفتاة بيد الجي وساعدته على التعلق بالسلم وقالت :

— لم يبق امامنا الا القليل وسنبحث عن مخبأ أمين تصيب فيه شيئا من الراحة .

واخذ الثلاثة يرتقون السلم .. وبعد لحظات كانوا قد وثبوا الى ظهر الباخرة واختفوا خلف غرفة المتراس .

فقالت الفتاة تخاطب الجي همسا :

— كيف حالك الآن يا الجي .. ؟

— انى بخير .. وان كنت اشعر بشيء من الاعياء .. وبودى الآن لو وجدت قدحا من الويسكى فى هذه الباخرة .

فقد كانت اسنان المسكين تصطك بردا .

وتحولت باتريشيا الى هوراس وقالت :

— تول انت القيادة فانك اخبر منى بمسالك السفن . وابحث لنا عن مكان نستطيع ان نتوارى فيه .

فهز الرجل رأسه وقال :

— ليس هذا بالأمر الهين .. ان هذه الباخرة صغيرة الحجم جدا ومع ذلك فسابذل جهدى .

وتركهما ومضى . فاسندت باتريشيا الجي بيدها اليسرى وامسكت مسدسها باليد اليمنى استعدادا للطوارىء .

وبعد دقائق قليلة رجع هوراس وهو يقول :

— وجدت مخبأ مناسبا .. هيا بنا ..

وسار بهما الى دولاب صغير فى احد اركان الباخرة فرفع غطاءه وادخل الجي فيه وهو يقول :

— فى هذا المكان يمكننا ان نستريح قليلا حتى نتأهب للمعركة .

— والآن ما الذى ينبغى ان نصنع يا مس هولم .. ؟

فالتفتت هذه الى الجي وقالت :

— وكيف حالك الآن .. ؟

وسدد هوراس ضوء مصباحه الى وجه الجي .

كان المسكين شديد الامتقاع .. ولم تكن بالعصابة المشدودة على الجرح الا اثر ضئيل من الدم اذ كان الماء المالح اثره فى ايقاف النزيف ولكنه كان يبدو منهوك القوى . وابتسم المسكين ابتسامة مرة وقال :

— لا زلت متعبا .. ولكنى ارجو ان استرد قواى عاجلا . لقد كادت تقتلنى هذه الضربة التى اصابت رأسى .. ! انى لا اصلح لرفقتكما .. !

وقالت باتريشيا :

— سأطوف انا وهوراس بالباخرة ولك ان تلحق بنا عندما تسترد قوتك .. ولا تنس ان الباخرة عامرة بالاعداء فيها البحارة وفيها النمر وبلوم وبيتل .. فأية غلطة ترتكب كفيلة بالقضاء علينا .

فقال هوراس :

— علينا ان نصرع كل من يلقانا فى طريقنا حتى ولو اضطررنا الى اطلاق النار .. وسأسبقك انا فى الخروج على ان تلحقى بى بعد قليل .

فقالت باتريشيا تقاطعه :

— بل انت الذى ستلحق بى .. !

ولم ير هوراس فائدة فى تضييع الوقت فى الجدل، فقال :

— فلنخرج معا اذن .. وسنترك مستر توماس كوبر هنا حتى يستعيد قواه .. هيا بنا .

وقال الجى :

— لا يأخذكما الخوف على .. سأعرف كيف ادبر امرى وسألحق بكما عاجلا .. وبودى لو التقى بالرجل الذى اعتدى على على رصيف الميناء لاريه كيف يكون الانتقام .

ونهضت باتريشيا واقفة وهمت بالخروج من الدولاب فقال هوراس :

— كان مستر تمبلار على حق حين قال ان البحارة سيكونون منهمكين فى نقل الذهب . فليس هناك فى الغالب الا الميكانيكى فى غرفة الآلات والطباخ فى المطبخ . فعليك بالطباخ أما أنا فسأتولى أمر الميكانيكى .

— حسنا . وبعد ذلك نهاجم البحارة الذين ينقلون الذهب الى الطابق الارضى .

واشار هوراس الى احد السلالم وقال :

— عليك بهذا السلم اذ يغلب على ظنى انه هو الذى يؤدى الى المطبخ .

وسار كل منهما فى سبيله .

ولقد اختار هوراس لنفسه المهمة المحفوفة بالمهالك وعهد الى باتريشيا بالمهمة الاهون والاسلم .. فعلى قيد خطوات منها السلم الذى ستهبطه .. فاذا ما بلغت القاع كانت فى امان واستطاعت أن تفاجىء الطباخ دون أن تخشى مباغتات البحارة .. اما هوراس فلم يكن له من مفر للوصول الى قاعة الآلات من ان يسير على ظهر السفينة مسافة غير قصيرة وفى خلال ذلك قد يراه أحد

البحارة . ولكنه كان داهية خبيثا . فقد تعلق بسياج الباخرة وسار على افريزها الخارجى منحنى الرأس حتى اذا بلغ المكان المنشود تخطى السياج وصعد السلم المفضى الى غرفة الآلات .

وسمع هوراس صوتا يقول :

— وماذا قال .. ؟

فأجابه صوت آخر :

— لابد لنا من الذهاب الى الجزيرة ثلاث مرات أيضا .

— فلنسرع اذن .

— هذا ضرورى لأن الكابتن شديد التلهف الى الفراغ من هذه المهمة .

واخذ هوراس يهبط الدرج فى حذر وهو يخشى ان ينم عليه وقع خطواته . ولكنه كان خفيف المشية كالقط وقد ساعده على ذلك انه خلع حذاءه .

وانتهى هوراس الى غرفة الآلات .. ورأى الميكانيكى منحنيا فوق عجلة القيادة وظهره الى ناحية الباب .

ودخل هوراس وسار فى بطء .. وسكون .. ومسدسه فى يده .

وفجأة ادار الرجل رأسه .. ورأى هوراس .. وانطلقت من فمه صرخة خوف وذعر .. ومد يده الى جيب بنطلونه ليخرج مسدسه . وكانت هذه الحركة منه سببا فى عدول هوراس عن اطلاق النار اذ اغتنم الفرصة وانقض على الرجل فالتحما وهويا الى الارض متشابكين .

وفى اللحظة التالية نهض هوراس .. وحده ..

وهم بأن يتابع طوافه فى الباخرة . ولكن فكرة طرأت على باله .. ان لهذا الميكانيكى قامة تشبه قامته .. فلم لا يرتدى ثياب الميكانيكى ؟ لو انه فعل ذلك لسهل عليه أن

يتجول في الباخرة دون ان يرتاب فيه احد . وفي مثل هذا الظلام الحالك سيقع في روع البحارة أنه الميكانيكي فاذا اقترب منهم استطاع ان يأخذهم على غرة .

ولم يتردد هوراس في تنفيذ هذه الفكرة .. اسرع فنزع بنطلون الميكانيكي وجاكتته الزرقاء وارتداهما ثم دفعه الى احد الدواليب واغلقه عليه .

ودار على عقبيه وهم بالرجوع الى السلم حين سمع وقع اقدام عند راس السلم ورأى رجلا يطل وهو يقول :

— كل شيء على ما يرام يا جوزيف .. !

واسرع هوراس فولى ظهره ناحية الرجل وانتقل الى اقصى الغرفة واجاب في صوت اجوف وهو يسعل حتى يخفي معالم صوته :

— على ما يرام .

— سنقلع بعد ساعة .

— حسنا .

— وسندق لك الجرس عند الفراغ من نقل الشحنة الاخيرة .

ومضى الرجل ولم يكن هناك شك في انه ربان الباخرة .

وقبل ان يزايل هوراس مكانه سمع حركة خفيفة خلفه . في ركن غرفة الآلات باب حديدي .. وقد فتح هذا الباب .. ومال هوراس فوق عجلة القيادة حتى لا يفطن القادم الجديد الى حقيقة شخصيته .

ولم يتكلم هذا القادم .. ولكنه تقدم الى وسط الغرفة . في خطوات خفيفة لا تكاد تسمع .. وظل هوراس منحنيا فوق العجلة متظاهرا بالانهماك في العمل .

خطوة بعد خطوة .. كان الرجل يتقدم صوب

هوراس . وفجأة ادرك هوراس الحقيقة .. ان هذا الرجل على حذر منه .. لعله قد فطن الى حقيقة أمره .. ! ولم يطق هوراس صبرا .. ! اينتظر حتى يفاجئه الرجل من الخلف .. ؟

وادار راسه .. وفي نفس هذه اللحظة انقض عليه الرجل وانشب في عنقه اصابع كأنها مخالب قدت من الفولاذ .

* * *

سارت باتريشيا في الدهليز المؤدي الى المطبخ وهي تفكر في هذه المغامرة العجيبة التي اقدمت عليها .. فتاة ومعها رجلان : احدهما جريح والثاني اعرج .. يهاجمون باخرة عامرة باللصوص المدججين بالسلاح للاستيلاء عليها .. ! اليست هذه جراءة منقطعة النظير .. ! الا تنطوي هذه المغامرة على شيء من الحماقة .. ! ولكن لا .. بالحذر والحرص يستطيع المرء ان ياتي المعجزات .

ان هوراس الان منهمك بامر الميكانيكي .. وبعد قليل سينضم اليها فيهاجمان الباخرة وقد يلحق بهما الجي ايضا .. فكيف لا يتغلبون على النمر واعوانه ولهم عليهم فضل السبق والمباغتة .. ومع ذلك وحتى اذا اخفقت فحسبها من الأمر كله انها سعت الى الثأر لمصرع سيمون . مصرع الرجل الذي احبته . !

اقتربت الفتاة من المطبخ فادارت المقبض في سكون ودخلت .. كان الطباخ منهمكا في عمله وظهره الى ناحية الباب .

وهتفت به باتريشيا في صوت رهيب منذرة :

— ارفع يديك .. ! وإياك ان تفتح فمك والا ظننت انك تنوي ان تستنجد فأطلق عليك النار .

ودار الرجل على عقبيه .. وكان في يده اناء من الالومنيوم ورأى فتاة شاهرة مسدسها عليه .. وقد ارتدت ثياب الاستحمام .

في غير هذا الموقف كان الطباخ حقيقا بان يمتع العين بهذا الجسم النحيف وهذه النهود الناضجة وهذا القوام الفتان .. اما الآن . والمسدس مسدد اليه .. فما كان هناك مجال للافتتان والاعجاب .

وعادت الفتاة تقول :

— لن انتظر اكثر من ذلك .. ارفع يديك والا اطلقت .. !

ورفع الطباخ يديه في بطء . وكان الاناء لا يزال في يده .. وقد خطر له ان يتخذ من هذا الاناء سلاحا يهاجم به الفتاة .. وفي حركة سريعة طرح ذراعه وقذفها بالاناء .. ولكنها كانت متأهبة لمثل هذه المباغتات . بلفتة صغيرة من رأسها استطاعت ان تتفادى الاناء الطائر .. وفي نفس الوقت تحرك اصبعها على الزناد .. ولكن الرصاصة لم تنطلق .. لقد نفذ الماء الى المسدس وابتل الرصاص فأفسده .. !

وانقض عليها الرجل .. ! وفي حركة غريزية .. وبكل ما في اعصابها من قوة سددت باتريشيا الى وجه الرجل ضربة بمسدسها .. واصابه المسدس بين عينيه .

وفي اللحظة التالية كان الطباخ على الأرض صريعا .

وخشيت الفتاة ان تكون جلبة هذه المعركة قد بلغت آذان البحارة فانزوت خلف الباب متهيأة للنضال مرهفة اذنيها للسمع . ولكن السكون ظل شاملا .. لم تسمع غير اصوات البحارة وهم يضجون ويصخبون اثناء تقلبهم الذهب .

وخرجت من المطبخ واغلقت الباب بالمفتاح وسارت في

الدهليز وانعطفت الى دهليز آخر تقوم على جانبيه المقاصير .

وفجأة وجدت امامها دولابا مفتوحا علقت فيه المسدسات والبنادق ووضعت على رفوفه علب الذخيرة . واسرعت فتناولت مسدسا حشته بالرصاص ثم اغلقت الدولاب ووضعت مفتاحه في جيبها . اذا جاء البحارة الآن ينشدون سلاحا وجدوا الدولاب مغلقا !

سارت باتريشيا في حذر وهي تسترق السمع .. كان كل شيء يوحي بأن المقاصير خالية ليس فيها احد . ترى اين النمر الآن . ؟ واين طوم . ؟ واين بيتل . ؟

وانتهى بها المطاف الى السلم وعلى رأس السلم وجدت رجلا يدخن غليونا وقد استند بمرفقه الى السياج ناظرا الى البحر . ولم يكن هذا الرجل الا الكابتن ماجز ربان الباخرة .

وصعدت باتريشيا ثلاث درجات .

وفجأة شعر الرجل بجسم صلب يلمس ظهره وسمع صوتا يقول :

— ارفع يديك .. !

وكان الصوت رهيبا .. ورفع الكابتن يديه .. !

وعاد الصوت المنفر يقول :

— الآن يمكنك ان تستدير .

واستدار ماجز .. ونظر الى الفتاة . ثم ارخى ذراعيه الى جانبيه .

وقال :

— اهذه انت ايتها الطفلة الصغيرة .. ! انت ترغمينني انا الكابتن ماجز على ان ارفع ذراعي ! .

وتحرك اصبع الفتاة على الزناد .. ورأى في عينيها الشر ونذير الموت .. وقالت تخاطبه :

— اولى بك ان ترفع ذراعيك .

وفي سكون ورضوخ رفع الكابتن ذراعيه مرة اخرى .

— والان انزل امامي . واعلم ان في نيتي ان اقتلكم جميعاً فلا تكن انت أول من يقتل .

واذعن ماجز امام هذا التهديد .. ونزل .

ولمـا بلغ المقاصير شعر مرة اخرى بفوهة المسـدس تلتصق بظهره . وسمع الفتاة تقول :

— اين النمر . ؟

فاجابها في هـدوء :

— عند هذا ويخطئك التوفيق . لقد تخلف النمر . ولست استطيع ان اخبرك بمكانه . اما الاخرون فقد جاءوا . بيتل وبلوم ، وقد ذكرا لي ان النمر سيلحق بهما بعد قليل . ولك ان تسألي بيتل عما تريدين .

ولم يكن في وسعها أن تستوثق من الحقيقة . ترى ايكذب الربان ام صدقها القول . ؟

وعادت تقول :

— واين بيتل . ؟

— في المقصورة اليسرى .

— اذن سر امامي اليها .

ولمـا رآته قد تردد عرفت انه يكذب فتحولت الى المقصورة اليمنى وفتحت بابها وقالت :

— تفضل بالدخول .

واياك ان تحاول اغلاق الباب عقب دخولك والا اطلقت عليك النار بلا رحمة .

ودخل الكابتن الى المقصورة وفي اثره باتريشيا . والان ما العمل ؟ لو انها كانت رجلا لاستطاعت ان توثق قيـاده ولكنها تخشى الاقتراب منه حتى لا ينقض عليها ويجردها من مسـدسها .

وقالت تأمره :

— والان ادر وجهك الى الجدار .

وادار ماجز وجهـه الى الجدار . وفي غـير تردد رفعت باتريشـيا يدها وبكل قوتها هوت بمقبض مسدسـها على رأسـه ..

وترنح الكابتن وهوى الى الارض صريعا . !

ونظرت باتريشـيا الى الرجل وهو طريح عند قدميهـا وداخلتها الشفقة عليه .. ولكن لم يكن هناك مفر من ذلك .. الا لبث القديس على قيد الحياة . لو رآها وهي تفعل ذلك لبث لهـا اعجابا .

وخرجت باتريشـيا من المقصورة بعد أن اغلقت بابهـا بالمفتـاح .

وقالت في نفسها :

— الان يجب ان ابحث عن بيتل . !

وسارت في حذر الى المقصورة اليمنى التي اشـار اليها ماجز ورأت بابها مفتوحا .. وكان المصباح مضاء . !

ترى أبيتل في المقصورة حقا كما قال الربان ؟

اقتربت من المقصورة ودفعت الباب الموارب ودخلت وهي شـاهرة مسدسها .

ولكن المقصورة كانت خالية !

غير انها رأت سيجارا في المنفضة .. وكان السـيجار مشتعلا . اذن فقد كان بيتل (او سواه) في هـذه الغرفة فأين ذهب ؟

ولماذا غادرها وترك سيجاره ؟ .

وشعرت بالخوف يتسرب الى قلبها . ! وخيل اليها ان هناك فخا نصب لها .

أمن الحكمة أن تدع المصباح مضاء ! ؟ واقتربت من الباب وضغطت الزر وأطفأ النور .

وقبل أن تستطيع برز من خلف الستار شبح انقض عليها وجردها من مسدسها .

وأضيء النور مرة أخرى .

ورأت أمامها بيتل يبتسم ساخرا .

الفصل الثامن عشر

أغلق بيتل باب المقصورة ثم تحول الى الفتاة وقال :

ـ والآن فلننظر الى وجه الحسناء المغامرة .

وجعل يجيل الطرف فى الفتاة ويصعد بصره فى جسمها الساحر ثم غمغم يقول :

ـ أهذى أنت يا مس هولم ! فى الحق انى لم أكن أظن أن لك هذا الحسن الباهر . قوام رشيق متناسب .

ثم أردف يقول :

ـ ولقد أدهشني سلوكك يا مس هولم . ! لم يخطر ببالى مطلقا أن فتاة مثقفة مثلك يمكن أن تقدم على مثل هذه الأعمال . !

فأجابته الفتاة فى هدوء :

ـ وأنا أيضا لم يخطر ببالى أن رجلا ثريا كسير بيتل يمكن أن ينضم الى عصبة من المجرمين . . !

فضحك بيتل طويلا وقال :

ـ ان سير جون بيتل موجود فعلا على قيد الحياة . ولكنه مقيم منذ أعوام فى أمريكا وقد انتحلت لقبه . ! انتحلته لأضلل أهل القرية الفضوليين . ! ولكن فى وسعك أن تناديني مجردا من لقب « سير » انى أحب البساطة . !

فقالت الفتاة :

ـ تحب البساطة والاجرام . !

كانت باتريشيا تتحدث اليه فى غير اكتراث وقد شاعت قلة المبالاة فى نبرات صوتها . ولكنها كانت موقنة من أنه سيدرك الموقف ومن أن فى وسعه أن يسجنها فى هذه المقصورة . ولكنها لم تكن تبالى . ! لو أن القديس فى مثل هذا الموقف لما جبن ولا فكر فى الأخطار المحدقة به ولظل على عهده باسما مستخفا .

وعادت باتريشيا تقول :

ـ يدهشني يا سير جون بيتل . أو يا جون بيتل فقط اذا أردت . . أن تكشف لى عن أمر شخصيتك هذا السر . ألا تخشى أن أفشى أمرك ؟ .

فضحك مرة أخرى تلك الضحكة الوحشية وقال :

ـ يمكنك أن تفشى سرى اذا خرجت من هذه الباخرة . ولكنك لن تخرجي . بعد ساعة على الأكثر ستقلع الباخرة الى البرتغال . . وفى الغد سأتزوجك وسيتولى عقد الزواج الكابتن ماجز بصفته ربانا للباخرة . وفى البرتغال ستمضين فى الضيعة الكبيرة التى استأجرناها . شبه سجينة . ! وبهذه المناسبة يجب أن أشكرك على اللحاق بى على ظهر الباخرة فى الوقت الذى ظننت فيه أننى فقدتك الى الأبد . هذا بلا ريب دليل حبك لى .

ـ أو دليل بغضى .

فابتسم وقال :

ـ على أية حال لا فائدة ترجى من الجدل فان وقتى أضيق من أن يتسع لهذا الحديث . . فغدا سأتزوجك . . بل فى هذه الليلة بالذات . ومن حسن حظك انى سأتزوجك . لقد رأيتك وأنت تدفعين ماجز الى المقصورة وتهوين على رأسه بمقبض مسدسك تأثرت وانتظرت . ! وقد ظفرت بك وسأتزوجك .

فقالت الفتاة في وحشية :
ـ انى أوثر ان أصبح جثة هامدة .
فقال بيتل في هدوء :
ـ دعى هذه الخشونة يا فتاتي ..! والا ..
وسكت وتناولت الفتاة وشاحا ألقته على كتفيها العاريين ..
واسترسل بيتل يقول :
ـ كنت أهم بمغادرة مقصورتي حين رأيتك تدفعين ماجزا الى المقصورة اليسرى ؛ فعدت ادراجي واطفأت النور وتركت السيجار وانا اعلم ان دوري لابد ان يحين بعد لحظات ، وانزويت خلف الستار ارقب قدومك انك فتاة شجاعة ولكن ينقصك الذكاء .
فقالت :
ـ وانت ينقصك الذكاء والشجاعة .
فقطب جبينه وقال :
ـ انك فتاة عنيدة ولكني ساعرف كيف أروضك على الخضوع .
فهزت كتفيها استخفافا وقالت :
ـ كيف تخضعني وانت نفسك خاضع لسواك . ! انك عبد خاضع للنمر تفعل كل ما يأمرك به . وأين النمر ؟ انى اريد ان اراه .
فقال :
ـ انني انا النمر .
فرمقته بنظرة هازئة وقالت :
ـ انت النمر .. قد اصدقك اذا اصبحت النمر قططا أو جرذانا .
فأخرج ساعته ونظر فيها وهو يقول :
ـ سنرى . ! والان يجب ان اتركك .. لقد فرغ البحارة

من نقل الشحنة ولابد من الاقلاع الان .. غير انى ارجو ان لا تكون اصابة ماجز شديدة .
ـ لا اظنها شديدة .
ـ على اية حال سيحل مساعده مكانه حتى يستفيق .. الى اللقاء يا باتريشيا .
ثم غادر المقصورة بعد ان اغلق الباب عليها وسمعت وقع خطواته وهو يبتعد .
وكانت باتريشيا تجهل الوقت اذ تركت ساعتها في البيت حتى لا يفسدها الماء اثناء السباحة .. واخذت تبحث عن شيء تتسلح به فلم تجد ..
وجلست على حافة الفراش وانثنت تفكر ..
كيف السبيل الى النجاة ؟ .
ان هوراس الان طليق يجول في ارجاء الباخرة .. فلو انها صرخت مستنجدة لسمعها ولخف الى نجدتها ! ولكن من الحماقة ان تستنجد . سيسمعها رجال العصابة وسيعرفون ان معها شريكا فيبحثون عنه وبذلك تفقد حتى هذا الأمل .
واطبقت فمها ولزمت الصمت .
وهب ان هوراس اهتدى من تلقاء نفسه الى محبسها فما الذي يستطيع ان يفعله لكى ينقذها ؟ لا شيء .. لو انه اقدم على انقاذها لاضطر ان يهشم القفل . ولاثار بذلك ضجة تلفت الانظار . !
ما العمل اذن ؟ . كانت كل السبل مسددة ! لم تكن هناك وسيلة الى النجاة . لن تنقذها الا معجزة .. فهل هذا هو زمن المعجزات ؟ .
واقامت في الانتظار .. كانت تنتظر قدوم هوراس ، او بيتل ! . ولكنها لم تكن تجهل ان هوراس لن يحضر .. انها ستظل سجينة ! . وفجأة سمعت بعض الصيحات

صيحات البحارة وهم يتلقون الأوامر ويرددونها !. الباخرة اذن على وشك الاقلاع .

وسمعت دوى المحركات .. وبدأت السفينة تهتز .

لقد اقلعت الباخرة .

اقلعت .. وسينفذ بيتل وعيده . فى هذه الليلة سيقترن بها على الرغم منها ! . ان الربان هو سيد الباخرة .. وكلمته هى القانون ! والربان من اعوانه ! . وسيتم الزواج بالاكراه.

يا للهول ! ولكنها لن تسمح بوقوع مثل هذا العار ! . لو ان بيتل حاول ان يغريها لقتلته على الفور .. ستقذف بنفسها الى البحر وتموت غرقا .

ولم يعد الموت يخيفها .. انه على الاقل سيجمع بينها وبين الرجل الذى احبته ! . ذلك الذى طوته مياه البئر .

وسمعت باتريشيا فى هذه اللحظة صوت بيتل وهو يصيح :

ـ هل انت مستعد ؟

ثم سمعت صوتا آخر يجيبه من قاع المركب :

ـ مستعد ! .

ودق على الاثر جرس ! ثم ازدادت حركة الباخرة ! .

واستولى الحزن على قلب الفتاة . لقد انتصر النمر .. انتصارا هائلا . ظفر بالغنيمة .. وقتل عدوه .. واختطف الفتاة ! .

ووضعت باتريشيا يدها على عينيها كأنها تريد ان تخفى عن بصرها هذه الهزيمة المنكرة ! .

وانتبهت على وقع اقدام تقترب . ودار مفتاح فى ثقب الباب .. ودخل بيتل .

وقال الرجل :

ـ ايه ! . الا زلت تؤملين فى النجاة ؟ .

ـ طبعا .

ـ حتى بعد ان تحركت الباخرة ؟ .

ـ ولو ! ..

وضحك بيتل هازئا وقال : انى اعجب لك كيف يظل الأمل يعمر قلبك .. ! الا تعلمين ان سيمون تمبلار قد مات .. ؟ .

ـ نعم . مات سيمون . ولكن المعركة لم تنته بعد .. ! وقد اموت انا ايضا ولكن الآخرين باقون .. ! قد يموت المدافعون عن القانون ولكن القانون يبقى .. ! لقد انتصرتم على مستر سيمون تمبلار ولكنكم لم تنتصروا على العدالة ولن تنتصروا .. ! يقع صف فينهض مكانه صف جديد .. ! فاذا حسبت انك قد انتصرت فانت واهم .. !

وابتسم بيتل وقال : اتحسبيننى اتراجع امام هذه الكلمات الحماسية دعك يا فتاتى من التعلق بالأوهام وهيا اصعدى معى الى ظهر الباخرة لتلقى النظرة الأخيرة على الشاطىء الانجليزى .. ! نظرة الوداع .. ! لقد مات سيمون .. ووقعت انت فى قبضتى فما الذى اخشاه بعد الآن .. ! نعم .. ان هوراس خادم سيمون رجل لا يؤمن جانبه ولكنه لابد ان يكون جثة هامدة فى هذه الساعة ! .. فمن الذى سيخف الى نجدتك الآن .. ؟

وقالت الفتاة وقد خفق قلبها : ومتى تكلم بهوراس ؟ .. لقد كان سليما معافى عندما تركته !

وخشيت ان يكونوا قد فطنوا الى وجود هوراس على ظهر الباخرة فقتلوه .. وقال بيتل يجيبها :

ـ لقد نبهنا على بعض رجالنا بمهاجمة الحصن فى الساعة الثانية بعد منتصف هذه الليلة وقتل هوراس . ولا شك انهم قد قاموا بتنفيذ هذه المهمة او انهم على الأقل على وشك تنفيذها .

وسرى منها ولكنها حاولت أن تكتم ما خالجها . وقالت :
أتسمح لى بسيجارة ؟ .

وقدم اليها بيتل سيجارة واشعلها لها وجذبت منها نفسا او نفسين ثم قالت : وهل دبرت ايضا مكيدة للفتك بكارن ؟ .

فقال بيتل فى استغراب : كارن ! . هذا الطبيب الابله ؟ وما الداعى الى ذلك ؟ .

فابتسمت وقالت : هذا الطبيب الابله المأمون الجانب ليس سوى المفتش كارن من رجال اسكوتلانديارد .

فهتف بيتل فى دهشى : ماذا تقولين ؟ .

— اقول ان المفتش كارن على علم تام بحركاتكم وسكناتكم . وقد ذهب ظهر اليوم الى فراكومب ليأتى بنجدة . وان باخرتكم لن تبتعد عن الشاطىء الا قليلا الا رأت مدرعة حربية تتبعها الى عرض البحر وتهددها باطلاق المدافع ان لم تكف عن المسير .

وكانت باتريشيا تلقى هذه الكلمات فى صوت هادىء . وكان بيتل يعرف انها لا تكذب .

وجعل يصعدها بنظرة فاحصة ثم قال : اتزعمين أن كارن شرطى سرى .. ؟

— نعم .. واذا كان النمر قد ترك هذا العجوز الابله يخدعه دون أن يكتشف حقيقة شخصيته فهو اذن ليس بالعبقرى النابغة كما يزعمون ! ان النمر يمكن ان يعد أغبى الأغبياء اذا كان قد ترك هذا الرجل الخطر يعيش الى جانبه دون ان تداخله فيه الريبة .

وامتقع وجه بيتل . وتألق الشر فى عينيه . وخيل الى باتريشيا انه يوشك ان ينقض عليها .

ثم استعاد سكونه وقال : شكرا لك على هذا التحذير .. لقد جاء فى الوقت المناسب . ساحتفظ بك يا صديقتى

وسأتخذك رهينة . وستكونين سببا فى انقاذنا جميعا .

فقالت فى برود : أتحسبنى أرضى بأن أكون سببا فى انقاذكم . ؟

— ستعدلين عن رأيك عاجلا .

ثم فتح الباب فى عنف وهتف ينادى : بلوم .. ! بلوم .

وانتظر لحظة ثم عاد يكرر النداء . فلما لم يجبه أحد هتف بأحد البحارة :

— ابحث عن مستر بلوم .. أخطره انى اريد ان اقابله حالا .

ثم اغلق الباب وتحول الى الفتاة وقال : ستندمين يا فتاتى عاجلا ندما شديدا على رفضك الزواج بى حين عرضت عليك ذلك بالأمس .

فابتسمت باتريشيا وقالت : يسرنى ان اراك غاضبا ثائرا وسيكون هذا المشهد من اجمل ذكرياتى .

فقال مصححا : من اجمل ذكرياتك الأخيرة ..

وتتابعت الدقائق . ولم يحضر بلوم .. ولم يعد اليه البحار الذى أوفده للبحث عنه .

وبدأ الغضب يستولى عليه .

وفجأة طرق الباب وبدا البحار على عتبته وهو يقول انه لم يجد مستر بلوم .

— لم تجد مستر بلوم . ما معنى هذا . هل الباخرة من كبر الرقعة بحيث يعييك البحث عنه فيها .

— لقد بحثت عنه فى كل مكان يا سيدى . واشترك معى أنبوت .. فلم نجد له اثرا . ان مستر بلوم غير موجود فى الباخرة .

وكان بيتل قد خرج من الغرفة وصعد الدرجتين المؤديتين الى السطح وباتريشيا خلفه .

وصاح بالبحار متوعدا : ابحث عنه مرة اخرى واياك أن تعود الى بدونه .

وفى هذه اللحظة ارتفع صوت من اقصى الباخرة .

صوت مرح طروب .

وعرفت الفتاة الصوت .. انه صوت ذلك الذى مات غريقا فى البئـــر ...

ـ هالو بيتـــل .

ولجفل بيتل كلما راى شبحا مخيفا . وهمت باتريشيا بأن تتقدمه ولكنه دفعها الى الخلف فى عنف .

وهتف الصوت : باتريشيا . ؟ كيف حالك .. ؟ كل شىء على ما يرام .

ـ نعم .. اهذا انت يا ســيمون ؟

ـ طبعا .. انا بلحمي ودمي .

واخرج بيتل مسدسين من جيبه وصاح بالبحارة :

ـ اقتلوه . اقتلوه . ولا تقفوا جامدين كالتماثيل . هيــا هاتوا المسدسات والبنادق . مائة جنيه لمن يقتله .

وترددت ضحكة القديس الداوية .

ثم قال مائة جنيه فقط .. الا تريد ان تزيدها . ؟ زدهـــا الى مليون فاقتل نفسي واقدم اليك راسى .

واذ ذاك رأته باتريشيا !

كان مستندا الى سياج الباخرة عند مؤخرتها .. وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة . والى جانبه يقف هوراس وشخص ثالث لم تتبينه باتريشيا . وخرج من الظلام اربعة من البحارة يحملون المسدسات .

وقالت باتريشيا فى نفسها : لا ريب انهم هشموا باب الدولاب .

وسمعت باتريشيا وقع اقدام البحارة وهم يجرون صوب القديس .

وقال القديس فى صوت هادىء : مهلا ! مهلا .. ! مر رجالك يا بيتل بان لا يطلقوا النار . ان هذه الغرارة التى نحتمي وراءها انما هى صديقكم العزيز بلوم . فاحذروا ان تطلقوا النار والا قتلتموه . ! لقد اتخذناه درعا ! .

وصاح بيتل : لا تطلقوا النار !.

ثم أمسك بباتريشيا ودفعهـــا امامه وانحنى خلفهـــا وقال مهـــددا :

ـ سيمون . اذا لم تسلم نفسك مع خادمك اطلقت النار على باتريشيا بلا تردد ! سأمهلك ثلاث دقائق ! .

الفصـــل التاســع عشر

بعد ثلاث دقائق كان سيمون تمبلار وهوراس يدخلان قاعة الاســتقبال تحت حراســة بعض البحارة المدججين بالســلاح .

وارتسمت على شفتى القديس ابتسامته المعهودة وقال :

ـ طاب مساؤك يا بيتل ! انى سعيد بمقابلتك . هيـــا اجلس وقص علينا ما لديك من الانباء ! .

وابتسم بيتل بدوره وقال : ليس فى هـــذه الدنيا من هو معصوم من الخطا . ولكن الشيء الذى يدهشنى ان يقع من كان مثلك فى هذه الغلطة الكبيرة ! . كيف غاب عنك ان مس هولم اسيرة لدينا ؟ لولاها لما سلمت نفسك بهذه السهولة .

فقال القديس مجيبا : اصبت . ليس فى هذه الدنيا من هو معصوم من الخطا .. ولكن اغلب الاخطاء يمكن ملافاتها .

ـ اغلبها .. ولكن ليس كلهـــا .. ! وغلطتك ليست من

النوع الذى يمكن ملاقاته ! . نعم .. انك يا سيمون هالك بلا ريب . يمكنك ان تعتبر نفسك من الان جثة هامدة .

ودار القديس ببصره فيما حوله وقال : جثة هامدة ... حسنا .. لم اكن اظن ان الجنة بهذا الشكل .

وجعل يقلب عينيه فى وجوه البحارة ثم قال :

— وهل هؤلاء هم الملائكة . ! لا اظن ذلك . ! ووجهك انت يا بيتل بنوع خاص لا يمكن ان يكون وجه ملاك . ! لعلى قد وضعت فى الجحيم خطا ! .

واثار استخفاف القديس قلق بيتـل فالتفت الى اعوانه قائلا :

— هل فتشتموه جيـدا ؟

فقال القديس مجيبا : لقد سلمت مسدسى عندما سلمت نفسى .. !

— نعم سلمت مسدسك واستبقيت خنجرك . انى اعرف ذلك .

واقترب منه يفتشـه واخذ يفتشه وجـرده من الخنجر المشدود الى الذراع اليسرى ثم اهتدى الى الخنجر الاضافى الذى شده القديس الى ذراعه اليمنى وجرده منه ايضا .

وقال القديس اسمح لى على الاقل بان استبقى علبة سجائرى .. انك تعرف انى مولع بالتدخين ؟

وفحص بيتل العلبة ثم ردها الى القديس .

وكانت هذه منه غلطة .. غلطة كبيرة .

واقترب احد البحارة من القديس وشد وثاق يديه شـدا عنيفا حتى كاد الحبل ينغرز فى اللحم .. ولم يتأوه القديس .. ولم تزايل الابتسامة وجهـه . ولما هم الرجل بتقييد ساقيه قال له القديس :

— دعنى اجلس على الاقل لانى متعب .

وسار الى ركن القاعة واستوى على احد المقاعد وجذب منضدة صغيرة وضعها امامه واسند اليها بمرفقيه وهـو يقـول :

— والآن يمكنك ان تهتم بسـاقى .

ولمـا فرغ البحـار من تقييـد ساقيه صاح بيتل :

— اوثقوا قيـاد الخـادم ايضـا .

وارسل بيتل احـد البحـارة ليأتى بباتريشـيا . فدخلت القـاعة هادئة ساكنة . ولما رأت القديس همت بالاقتراب منه فردها عنه البحـارة فى عنف وخشـونة .

فقال القديس : الزمى مكانك يا باتريشـيا واستمعى الى تلك الخطبة العظيمة التى ينوى بيتل القاءها علينـا .. انى اقرأ فى وجهه منذ ساعة انه شديد التلهف الى القـاء هذه الخطبـة .. !

وقال بيتل فى صـوت هـادىء : هـذا صحيح .. ! ان الموقف الآن لا يدعـو الى الخجل .. بالنسبة الى على الاقل .. لقد انتهت المعركة بانتصـارى .. ! ومع ذلك فلن القى خطبتى الا فى حضـور اثنين من زملائى .

والتفت الى احد البحـارة وقال : انظر اذا كان مستر ... والكابتن ماجز قد استفاقا من اغمائهما .. ؟

ثم تحول الى القديس وقال : وريثما يحضر الزميلان ارجوك ان تقص علينـا كيف نجوت من البئر .. ؟

— ان الامر على غـاية من السهولة .. عندما كنت طفلا علمتنى احدى العرافات الهنديات كيف احول جسمى الى مادة غـازية فلمـا سقطت فى البئر تسلطت على جسمى بقوة ارادتى وحولته الى هواء . وبهذه الطريقة بلغت فوهة البئر وخرجت .. !

ــ مزاح سخيف .. !

وبعد قليل حضر ماجز وبلوم . وقد استعانا بدلو من الماء البارد صباه على رأسيهما حتى استفاقا .

وقال التديس وهو ينظر الى بلوم : طاب مساؤك يا مستر بلوم .. !

ثم التفت الى بيتل وقال : سيدى الرئيس .. من هذا العضو الثانى .. !

ــ انه الكابتن ماجز ربان الباخرة . ومس هولم تعرفه حق المعرفة فقد تفضلت وضربته على رأسه بمقبض مسدسها .

واقترب ماجز من باتريشيا وأمسك بذقنها .. وامتقع وجه التديس .. وزاده امتقاعا أن ألفى نفسه عاجزا عن أن يدافع عنها ..

ونظر الربان فى عينى الفتاة برهة ثم قال :

ــ لقد كادت هذه الضربة تقتلنى يا فتاتى .. ! ولكنك ستعتذرين .. ! وستعتذرين بالقبلات .. !

وهب بيتل واقفا وصاح فى صوت متوعد : اجلس يا ماجز !! اجلس !!

واستوى ماجز على أحد المقاعد .

ومرت لحظات وبيتل صامت لا ينطق بكلمة واحدة .

وأخيرا قال :

ــ الحق يا مستر تيبلار انى اكره المواقف المؤثرة ولهذا سأوجز فى حديثى .. لقد حشرت نفسك فى شئوننا وتدخلت فيما لا يعنيك وحاولت أن تحبط مشروعاتنا .. وقد نصبنا لك فخاخا كثيرة ولكنك نجوت منها بمعجزة . ! والآن وقد وقعت فى أيدينا لابد من قتلك . ! وانى أن موتك هو السبيل الوحيد للخلاص من خطرك . ! وانى

اعتقد انى اعبر عن رأى جميع الحاضرين فى ذلك . !

وادار بيتل بصره فى الحاضرين فهزوا جميعا رؤوسهم مؤمنين على كلامه .

ــ انى فلنصوت على قتله . ! الجميع موافقون .

فتمتم التديس يقول : اشكركم .

واسترسل بيتل يقول : اما فيما يتعلق بخادم سيمون فلابد من قتله ايضا .. اذ ان فى بقائه حيا خطرا علينا .. وهذا امر واضح لا خفاء فيه اما الفتاة .. مس باتريشيا هولم فقد عولت على ان اقترن بها بمجرد تنفيذ حكم الاعدام فى سيمون وخادمه .. وسيتولى ماجز عقد هذا الزواج .

ثم تناول مسدسه من فوق المنضدة وقال : هل لدى احد منكم .. وماجز معكم .. اعتراض على هذا القرار .. ؟

ولم يبد احد منهم اى اعتراض .

وهنا تكلم التديس قائلا : قبل ان اموت لى رغبة احب ان ابديها احب أن اقص عليكم حكاية رجل يدعى الدكتور كارن من مفتشى اسكوتلانديارد ..

فقاطعه بيتل بقوله : لقد قصت علينا مس باتريشيا هذه الحكاية من قبل .. واذا جاء المفتش كارن عاملته بنفس الطريقة التى عاملتك بها .. سأتخذ من مس هولم درعا احتمى خلفه ثم اطلب اليه التسليم وانى موقن من انه لا يتجاسر على اطلاق النار علينا .

وبعد سكتة قصيرة قال بيتل : والآن فلنبدأ تنفيذ الاحكام . !

ــ لحظة واحدة .

ــ ألديك شيء تحب أن تفضى به .

— نعم .. إن في نيتي أن أحدثك عن الأخطاء التي ارتكبتها العصابة . لقد ارتكبتم ثلاثة أخطاء . ولكن قبل أن أبدي لكم رأيي أحب أن أكاشفك يا بيتل بأني على النقيض منك مغرم بالمفاجآت مولع بالمواقف المسرحية .. ولقد كان في وسعي بدلا من أن أناديك وأنا على ظهر الباخرة أن أفاجئكم ومسدسي في يدي وأقبض عليكم جميعا .. ولكني دبرت هذا الاجتماع الظريف لشدة ولعي بالمواقف المسرحية .. نعم في هذا مخاطرة ولكني لا أبالي . إني بالغريزة مخرج مسرحي . فما رأيك ؟

— سأكاشفك برأيي بعد أن أشاهد هذه الرواية التي توليت اخراجها ! ؟

واسترسل القديس يقول : إذن فدعني أوجه إليك هذا السؤال يا بيتل لماذا لم يحضر اجتماعنا هاري الدوق ؟

وكأنما ألقى القديس قنبلة تحت قدمي الشريكين .. وثبا واقفين وقد ارتسم في عينيهما الذعر . ثم الشك .. ثم الريبة ..

أما القديس فلم يزد على أن ابتسم ابتسامته الساخرة البريئة .. وكان في هذه اللحظة منهمكا في تقطيع الحبل الذي يقيد ساقيه بعد أن فرغ من وثاق اليدين .. نعم استطاع القديس أن يمزق قيوده بالاستعانة بعلبة سجائره فان لها حافة ماضية تشبه شفرة الموسى وقد أجرى القديس القيد على هذه الحافة فانقطع ثم تناولها وقطع بها قيد ساقيه . وقد فعل ذلك مستترا بالمنضدة التي وضعوها أمامه عندما جلس على المقعد .

ونظر بيتل إلى بلوم وصاح به : أين هاري ؟

وكان صوته رهيبا متوعدا .

وابتعد بلوم خطوة عن شريكه وقال : صبرا . ! لقد عاجلني هذا الشيطان سيمون وأنا أحمل إليه الطعام وصرعني ولا شك أنه فتح المقصورة ودخلها .

وهجم بيتل على بلوم وقد شهر مسدسه فلم يتردد هذا في أن صوب مسدسه إلى شريكه .

ووقف الشريكان يتبادلان نظرات يتطاير منها الشرر .

ثم قال بيتل : تبا لك لماذا لم تنبئني بذلك من قبل . هيا فتشوا الباخرة كلها . ابحثوا عن هاري في جميع الأركان .

فقال القديس : وما الفائدة ؟ انكم لن تجدوا هاري في الباخرة . انه الآن في بيكومب .

— في بيكومب . ماذا تعني ؟

— أعني أنني بعد أن صرعت بلوم دخلت إلى المقصورة فوجدت فيها العمة أجاثا جيرتون أو بعبارة أدق هاري الدوق . وجلسنا معا نتجاذب أطراف الحديث ، وقد قص علينا أن أجاثا جيرتون الحقيقية ماتت في باريس وانه كان موجودا هناك اذ ذاك فانتحل شخصيتها فرارا من مطاردة البوليس . وحدث أن اكتشف النمر هذا السر فمضى يتهدد هاري بافشاء أمره واستطاع بذلك أن يبتز منه ثروة من هولم وقدرها عشرون ألفا من الجنيهات . وسئم هاري هذه التهديدات المتوالية فعول على قتل النمر . وهنا أدرك النمر أنه ارتكب الغلطة الأولى بإثارته هاري . فاختطفه ونقله إلى الباخرة لكي يغرقه اذا ما خرجت السفينة إلى عرض البحر . وقد زودني هاري بمعلومات أخرى عن النمر فكافأته بأن كاشفته ببعض أسراري . وهاري رجل شهم . وقد صح عزمه على أن يسعى إلى انقاذ باتريشيا وقد ساعدته على مغادرة الباخرة ولا شك أنه وصل إلى

بيكومب سياحة . وسيكتب خطابا غفلا الى كارن يتبئه بأن باتريشيا سجينة هنا . ولهذا ستجدون مدرعة حربية فى انتظاركم فى صباح الغد على الأكثر ان لم يكن فى هذه الليلة بالذات .

واقترب بيتل من القديس شاهرا مسدسه . وقال هذا :

ـــ لحظة واحدة .. دعنى أحدثك عن الغلطة الثانية التى ارتكبتموها ومن حق هوراس ان يتكلم بنفسه ولكنه فوض الى الحديث باسمه .. تسلق هوراس الى غرفة الالات وانقض على الميكانيكى وصرعه ارضا وارتدى ثيابه وبذلك استطاع ان يخدعكم . وقد وجهتم اليه الحديث واصدرتم الاوامر ظنا منكم انه الميكانيكى . وقد تسللت انا بدورى الى غرفة الالات ورأيت هوراس ولم اعرفه اذ كان موليا ظهره الى ناحيتى فوثبت عليه وكدت اخنقه لولا أن تلفت الى الحقيقة فى الوقت المناسب وقد اشتركنا معا فى تنفيذ الاوامر التى صدرت الينا من خلال البوق ونحن الذين سيرنا الباخرة . اما رجلكم فموجود الان فى الدولاب فى غرفة الالات . ولكن ليس هذا هو كل شىء .

وكان بيتل يصغى الى حديث القديس وهو صامت ..

كان يعرف أن القديس اكبر مخادع على ظهر الارض وأن من المحتمل جدا أن يكون كاذبا فى كل ما يروى . ولكن ما الذى يدعوه الى الكذب واكتشاف الحقيقة ليس بالامر العسير .

واسترسل القديس يقول :

ـــ لا اظنكم تجهلون انى خبير بقيادة اليخوت . وأن هوراس قد اشتغل بحارا برتبة سرجنت فى الغواصات أيام الحرب . وقد نزلنا معا الى باطن الباخرة وفتحنا الأبواب السفلى المتصلة بالقاع والتى لا تفتح الا والسفينة

فى الحوض عند اصلاحها . وقد تسرب الماء الى الباخرة وملأ قاعها وهى وشيكة بأن تغرق .. لن تمضى ساعة حتى تكون قد استقرت فى قاع البحر .. ألم تلاحظوا ان الباخرة هدأت من سرعتها وأنها توشك أن تقف . وقد بدأت تميل الى جانبها . انظر من الطاقة المجاورة لك يا بيتل .

ووثب بيتل الى الطاقة المجاورة .. بدأت الباخرة حقا تميل الى جانبها وسكتت آلاتها تقريبا ، وهذه الكوة التى تعلو من مستوى الماء مترين اصبحت الآن لا تعلو عنه مترا واحدا .

وصاح بيتل : بدأت الباخرة تغوص . الذهب .. الذهب ..

فصاح بلوم : فلتأمر الرجال بنقله الى الزوارق .

ـــ يا ابله . الباخرة ستغرق بعد نصف ساعة فكيف تنقل الذهب ونقله لن يستغرق أقل من اربع ساعات .

ثم استعاد هدوءه وقال : ولكنك ستموت معنا يا سيمون قبل ان تنطوى السفينة فى البحر سأفرغ رصاص مسدسى فى صدرك .

وفى هذه اللحظة دوى فى ارجاء القاعة صوت يقول :

ـــ ارفعوا الأيدى .

وعلى عتبة الغرفة ظهر الجى ، مستر لوماس كوبر وفى يده مسدسان .

وتراجع رجال العصابة الى الخلف فى ذعر .. وترك بيتل مسدسه يسقط ارضا .

وتقدم الجى الى وسط الغرفة وهو يصوب مسدسيه الى العصابة وهتف يقول : انكم جميعا تعرفوننى بلا ريب .

فنظرت اليه باتريشيا فى استغراب .
فاسترسل يقول : انتى الجى .. ! انتى النمر .. !

الفصل العشرون

تكلم النمر قائلا : جاهدت .. وكافحت .. ولكنى هزمت فى النهاية .. لم يهزمنى رجال البوليس . ولم يهزمنى سيمون .. وانما هزمنى اعوانى .. ! لقد غدر بى الانذال .. وقد اصبحت الآن اكره النضال والكفاح .. انك تقول يا سيمون ان الباخرة موشكة على الغرق .. ؟ فليكن .. لست ابالى ! لقد كرهت الحياة . ! لن اقاوم كلا .. سأموت .. وسيموت معى هؤلاء الانذال . !

ثم تحول الى البحارة وقال : اما انتم فيمكنكم ان ترحلوا .. اركبوا الزوارق وعودوا الى الشاطىء فليس بينكم وبينى شيء . انكم ما كنتم الا منفذين للاوامر الصادرة اليكم .. وكذلك انت يا سيمون يمكنك ان تنصرف .. وهوراس .. وباتريشيا .. اذهبوا جميعا ودعونى اصفى الحساب بينى وبين هؤلاء الاوغاد الذين غدروا بى .. !

وخرج البحارة . وسار القديس الى الباب .

وقال يخاطب النمر : انك نابغة يا الجى .. ! لقد خدعتنى .. ! لم يخطر لى ببال ان هذا الابله السلاح يمكن ان يكون هو النمر .. !

فتنهد النمر وقال : اذهب يا سيدى .. اذهب .. حتى لا ترانى وانا اقتل هؤلاء الانذال .. لقد اتفق بلوم وبينل على ان ينفردا بالسبائك دونى .. فانقضا على وانا اسير على رصيف البحر فضربنى احدهما بعصبته على رأسى واطلق الثانى رصاصة على .. وقد استقرت فى فخذى .. وقد نزفت دمائى ولم يعد لى رجاء فى الحياة .. فاذهب قبل ان تغرق الباخرة .

وخرج القديس الى ظهر الباخرة وفى رفقته هوراس وباتريشيا .

وبعد لحظات ارتفع دوى الرصاص فى داخل القاعة . ثم شملها السكون .

ورجع القديس الى القاعة مسرعا .

ورأى منظرا تقشعر لهوله الابدان . كان النمر ممددا على الارض والدماء تنزف من جراحه وقد لفظ النفس الاخير . اما بينل وبلوم فكانا طريحين على الارض جريحين وهما يعالجان سكرات الموت .

واوصد القديس الباب وخرج .

وقالت باتريشيا : فلنسرع قبل ان تغرق الباخرة .

فقال القديس : انها لن تغرق .

ووثب مسرعا الى غرفة الآلات ثم رجع بعد دقائق قليلة وقال :

— نعم . انها لن تغرق . انى لم افتح الابواب السفلى كما زعمت . وانما فتحت الطاقات المتصلة بالعنابر وملأتها بالماء . وقد نزلت الان فاوصدتها ثانية وشغلت المضخات الاتوماتيكية . وبعد دقائق ستكون العنابر قد فرغت مما فيها . والباخرة قد طفت ثانية الى حيث كانت .

وارسل القديس بصره الى عرض البحر وقال :

ــ انظروا .. ها هى المدرعة تقترب منا ، ان فيها كارن بلا نزاع .

واقتربت الباخرة من المدرعة . وراوا كارن على ظهرها .

وصاح كارن من خلال البوق : هالو سيمون كيف الحال ؟

ــ على ما يرام . فى انتظارك الان ثلاث جثث .

ــ ثلاث جثث ؟

ــ نعم . النمر وشريكاه . وشحنة الذهب . !

واستقل كارن قاربا وصعد الى ظهر الباخرة وتولى مع رجاله توجيهها الى الشاطىء .

وفى ركن من الاركان المظلمة وقف القديس يتحدث الى باتريشيا .

قال : اتعرفين من انا . ؟

ــ اعرف من انت ؟ انك سيمون طبعا .

ــ ومن هو سيمون ؟

ــ لادرى .. ! انت ..

فقال باسما : اننى القديس طبعا .

فهتفت الفتاة : القديس . ! والله لقد حدثنى قلبى بهذا. كنت اقول لنفسى ان هذه الجراة والعبقرية والشجاعة لا يمكن ان تكون الا للقديس . ! ولكن لماذا كتمت عنى الامر . ؟

ــ خشيت ان افقدك .. لم اكن موقنا من انك ستحبين القديس .

فابتسمت وقالت : بل لعلى احبك الآن اضعاف ما كنت احبك .

وقدمت اليه الدليل على شكل قبلة اعقبتها ضمة . ثم ضمة اعقبتها قبلة .. الى ما لا نهاية له !!

(تمت)

مطبعة القاهرة الجديدة

٣٢ ش الجيش . ت ٩٠٤٢٨٦

رقم الايداع ٢٧٩٠ / ٧٨

القديس

القصر القديم

قال القديس :

الحق انني لم ار حامل مسدس اغبى منك .. اتكون تحمل مسدس ومع ذلك تقف على هذا النحو مرتبكا مضطربا يدك متدلية الى جانبك لا تجرؤ على استعماله ؟

اسمع يا صديقي .. سامهلك شهرا تتعلم خلاله كيف تسدد المسدس الى صدر خصمك .. ان المسدسات لا تمسك هكذا .. ارفع ذراعك واجعل الفوهة مصوبة الى صدري لا الى الارض ..

الناشر
مكتبة رجب
١٧ شارع البندق
خلف مشاق ، القاهرة

٣٠ قرشـــا